الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

تقديم الطالب : الطيب بوسماحة

ميدان: لغة وأدب عربي

شعبة: دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

الصراع الإجتماعي والحرب في شعر الصعاليك عروة بن الورد أنموذجا

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
- بولرباح عثماني	أستاذ محاضر-أ-	رئيساً
- عبد القادر بلغربي	أستاذ محاضر-أ-	مشرفا ومقررا
- جلول بن شاعة	أستاذ محاضر-أ-	مناقشاً

السنة الجامعية:2018-2019م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

شـــكر وثـــناء

شكر وثناء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا

أن هدانا الله ، ونحمد الله عزوجل الذي وفقنا بعد العناء ووفر لنا

أسباب النجاح في هذا العمل المتواضع وأتقدم بكل عبارات الشكر إلى :

الدكتور المحترم عبد القادر بلغربي الذي ساعدني كثيرا من خلال نصائحه

وتوجيهاته لي الذي سهل لي وأعانني في مهمة البحث جزاه الله عنا كل خير

ووفقه الله في مسيرته العلمية يا رب

أشكر كل أساتذة اللغة والأدب العربي الذين لم يبخلوا علينا من علم ننتفع به

وأشكر إدارة الأدب العربي .

شكرا

الإهـــــداء

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات" بعد مسيرة دراسية حملت في طياتها الكثير من الصعوبات والمشقة والتعب اليوم نقطف ثمرها والحمد لله اهدي تخرجي إلى الذي كان سبب في وجودي أبي العزيز **علي بوسماحة** وأبي **الثاني لخضر** الذي علماني حب العلم .

إلى أملي في الحياة وقرة عيني وسر نجاحي أمي الغالية ادامها الله وأطال في عمرها يا رب

و إلى إخوتي من كانوا سندي ومد و لي يد العون في كل خطوة في الحياة بنصائحهم وتوجيهاتهم .

إلى كل الأهل و الأصدقاء والأحباب .

طيب بوسماحة

مقدمة

مقدمة :

قد حز في نفس جل الصعاليك للمبادئ القبلية التي اتسم بها العصر الجاهلي وما تتضمنه من ظلم واستهجان خاصة للطائفة الدونية وما تصعلكوا إلا بعد يأسهم من تلك الحياة البائسة التي قوامها النسب والمال والتي سنها مجتمعهم القبلي فأعلنوا سخطهم عن تلك المبادئ وهذا راجع لعدم انسجامهم معها أو بعد إعلان قبائلهم عزلهم وخلعهم فظهرت القطيعة لتحدث شرخا في نفوسهم فظهر شعرهم مليئا بدوافع نفسية لا تختلف عند معظمهم رغم اختلاف نفسياتهم وجرائرهم ومطالبهم . يعد شعر الصعاليك عامة وشعر عروة خاصة ظاهرة فكرية نفسية اجتماعية لطائفه من شعراء العصر الجاهلي عكس سلوكهم وشعرهم نمطا فكريا واجتماعيا مغايرا لما كان سائدا في ذلك العصر، فطائفة من الصعاليك تمردت على سلطة القبيلة ونظامها الجائر في حقهم ، فجاء شعرهم مصورا لحياتهم وما يعتريها من إغارة وإباحة السرقة والدماء ، والثورة على الأغنياء ومناصرة الفقراء ، يرصد واقعها ويعبر عن همومها وينقل هواجسهم النفسية لما انتابها من ضيم واستبداد . وهذا ما دفعنا لطرح عدة تساؤلات تمحورت حول : ما مدى تأثير هذه الظاهرة في حياة الصعاليك ؟ وكيف جاء شعرهم إثر خروجهم من قبائلهم وخلعهم ؟ وماهي أبعادهم النفسية التي دفعتهم لنهج هذه الصعلكة ؟ وكيف كانت صعلكة وشعر عروة مقارنة مع غيره من الصعاليك ؟ .

وجاءت خطة بحثنا في مدخل وفصلين متبوع بخاتمه وفق المنهج السياقي تناولنا في المدخل حياة العرب الاجتماعية وأبرز أيامها وحروبها وتطرقنا في الفصل الثاني لماهية الصعلكة و دوافعها عند هذه الطائفة ودور الشعر في حياتهم وكذا صور غزوهم وغاراتهم وأوردنا الأبعاد النفسية التي دفعت بهم للتصعلك . أما الفصل الثاني فجاء فيه نبذه عن عروه حياته وشعره وأوردنا فيه تحليلا لبعض أشعاره التي تعبر عن مغزى البحث وختمنا بحثنا بأهم ما استخلصناه وما توصل إليه بحثنا . ولعل أهم سبب دفعني لإختيار هذا الموضوع راجع إلى قلة العناية بشعره مقارنة مع الدراسات الأخرى التي تناولت الشعر الجاهلي أو شعراء العصر الجاهلي فحاولنا تسليط الضوء على شعر الصعاليك لما له من قيم فنية وخلقية وكذا أبعاد النفسية مختلفة، وكما لا يخلو أي بحث من صعوبات ولو أنها قليله جدا فأهم ما اعترض بحثي هو تهميش الدارسين لشعر هاته الطائفة وقلت الباحثين فيه بالنسبة لباقي الشعر الجاهلي . هذا ما جاء في بحثي كما اشكر الاستاذ الفاضل عبد القادر بلغربي للحرص على إعداد هذا البحث والخروج به في أحلى حله جزاه الله عنا خير الجزاء .

مدخل

مدخل:

تكونت حياة العرب الاجتماعية في العصر الجاهلي من مجتمع موحّد رغم اختلاف المناطق و شساعتها في شبه الجزيرة العربية و انقسمت الى قسمين : أهل بدو وحضر ، أما الأول فهم قوم رحل يقيمون بالبادية ويرتادون منابت الكلأ ومواقع الغيث ولا يستقر بهم المقام.

يرتحلون حيث تطبيق لهم الإقامة وتستقر لهم أساسيات حياتهم وأرزقهم، غذاؤهم قائم على التمر ولحوم أنعامهم وألبانها ولباسهم من أصوافها وأوبارها حياتهم كفاف وقناعة يتغنون بالبطولة والقوة والشجاعة والكرم ونبل الأخلاق أما القسم الآخر (أهل الحضر) عيشهم مستقر ،يعتمدون على الزراعة والصّناعة والتجارة يعيشون في أمن وسلام غالبا عكس أهل البادية ،الذين هم في حروب وغزو دائم ويتميز أهل المدن بشدة حبهم للمال ويعيشون في ترف ونعيم ويسكنون القصور ،ورغم كل ذلك لم تنقطع صلاتهم بأهل البادية فكثير من القبائل كانت على صلة دائمة بالمدن ،تتزود منها وتتأثر بها فحياة المدن أشبه بحياة القبائل والنّظام الاجتماعي العام والوحيد الذي ساد معظم المناطق في الجزيرة العربية هو وحده القبيلة سواء كانت هذه القبيلة في البادية أم في الحاضرة ،"فالقبيلة هي الوحدة التي بنيت عليها حياتهم وأفرادها ينتسبون الى أب واحد وقل من ينتسب إليها من لم يشاركها في نسبها إلا عن طريق الحلف أو الولاء ".[1]

[1] محمد عبد المنعم خفاجي :الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ،دار الجيل ،بيروت لبنان ،ط1 ،1992 ،ص38.

وتسمى القبيلة غالبا اسم الأب ويقوم نظامها أساسا على العصبية سواء كانت عصبية قبلية أم عصبية رحم .ويسود أفراد القبيلة العصبية والتناصر والتعاون وكل فرد يتعصب لقبيلته العصبية والتناصر والتعاون وكل فرد يتعصب لقبيلته سواء أصابت أم أخطأت.

وتحمي القبيلة أفرادها من العدوان وتطالب بدمه إن جنى أحدهم عليه إذا خرج فرد منها على تقاليدها وأعرافها أو جرّ عليها المغارم تّخلّت عنه وأعلنت براءتها منه ،وتسمى خليع ،ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ومرجعها وملاذها في الشدائد .[1]

وتشتمل القبيلة على ثلاث طوائف اجتماعية :أبناء القبيلة ومواليها وعبيدها .

فأبناء القبيلة الخلص الذين ينتمون إليها بالدم ، هم عماد القبيلة وقوامها وعليه واجب حمايتها والدفاع عنها والعصبية لها ثم يأتي في المرتبة الثانية الموالي الذين هم أدنى مترلة من أنباء القبيلة ،وهؤلاء إما يكونوا موالي المرتبة الثالثة والأخيرة هي العبيد ،وهم من أسرى الحروب أو ممن يجلب أمم أخرى كالرقيق وهؤلاء أقل مكانة من الموالي وحياتهم بائسة مزرية ،يعنون بالزّراعة والرّعي والصيد مع انشغال بعضهم بالتجارة كأدلاء والحراسة وهم يقومون بهاته الأعمال الشاقة المفروضة عليهم لأسيادهم وأرباب أعمالهم .

أمّا المرأة فكان لها شأن في الأسرة العربية بحيث يبدأ ذكرها في قصائدهم ويتغنون بجمالها وقد كان هناك نوعان من النساء ،إماء و حرّات و تختلف كل منهما عن الأخرى ،فأما مكانتها دانية ،فهن يخدمن الشريفات ويعملن كل الأعمال ،وقد يرعين الإبل والأغنام ،أمّا

[1] ينظر :شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،ط22،ص72.

الحرات فتعملن بطهي الطّعام ونسج الثياب أما بنات الأشراف تكن في المترلة رفيعة سامية فيمن بعض الجواري يقمن لها الأعمال ، ومن ميزات نبات الأشراف أنهن يخترن أزواجهن ويتركنهم إذا لم يحسنوا معاملتهن وبلغت مترلة بعض الشريفات أن يحين من يستجير بهن ويرددن إليه حريته إذا استشفع بهن [1]

ومهما يكن من شيء فإن مكانه المرأة في المجتمع الجاهلي دون مكانة الرجل بكثير فالمجتمع ذكوري والعرب تحب الذكور لأنهم جنود القبيلة وحمايتها ، عكس المرأة فهي في نظرهم عبئا عليهم، ولأنها مقصد الأعداء، فسبيها عار لا يسكن عنه ،ودليل في قوله تعالى: «وإِذاَ بُشر أَحدَهمْ بالأنثى ظَّل وجههُ مسودًّا وهوُ كظيمْ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا سَاءَ مَا يَحْكُمُونْ»[2]

وظاهرة بغض الإناث لم تكن لها صورة عامة لدى العرب وإنما محصورة في بعض القبائل وبعضها من ينكر هذا الفعل ويبذل المال ليفتديها.

لقد كان الأمر القبيلة نظم تقوم عليها حياة أفرادها وتحدد صلاتها القبائل الأخرى وتشمل على روابط عامة ومثل عليا يتفق عليها العرب جميعا قوامها المروءة والخلل الطيبة كالكرم والأمانة ومثل عليا يتفق عليها حياة أفرادها وتحدد صلاتها بالقبائل الأخرى ، فالمال لم يكن مقصور على القبيلة وحدها وقد يعتدي به في إخماد الحروب التي دامت طويلا

[1] ينظر :المحمد عبد المنعم خفاجي :الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ص37 -38-39-40.

2 سورة النحل ،58-59.

،فمكارم الأخلاق لم تكن مباهاة فقط وإنما متأصلة في نفس الفرد يفتخر بها في أشعاره ويجوب بها في وقت الشدة والصعاب .

وقد شاعت في المجتمع العربي الجاهلي آفات نخرت جسده كالخمر والميسر والتمتع بالنساء واللهو والمجون ودليل هذا من القرآن قوله تعالى :{**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**}1

وأكثر هذه الآفات التي قل أن نجد شاعراً جاهلياً لم يذكرها ، ويتغنى بها ويصفها وصفا دقيقا ويتفاخر بتعاطيها غير مبالي بما تحدثه من عبث بالعقول وذهاب الحلم والوقار و اختلال السلوك وما تجره من أعمال قد تنفره قبيلته وقد تختلعه جرَّائها وتتبرأ من جرائره.

وقد اختلفت الحياة المعيشية والمكاسب بين سكان البدو وسكان المدن وقد اختلف سكان المدن أنفسهم في حياتهم المعيشية ،فمنهم التاجر الثري ومنهم العبيد الرقيق ،فكان اعتماد سكان المدن على التجارة بنسبة كبيرة فهي المهنة المربحة التي برعوا فيها ما ميزهم عن أهل البادية ظروفهم وطباعهم إضافة الى أن هاته المهنة برع فيها الحضر المتعلمين ، وقد عمل بعض من أهل البادية كوليد يرشد القوافل ،فكان امتداد تجارتهم واسع المدى وقوافلهم ذات ضخامة وكثرة محملة بكل الأنواع من طيب وبخور واللبان والجلود والثياب العدنية وتوابل الهند ،والجلود والمعادن والحرير الصينية وتمر وشعير العراق إضافة الى كل هذا الكثير من الأنواع الأخرى وإضافة الى التجارة عملوا في ميدانين الزراعة والصناعة إلا

1 سورة البقرة ،الاية219.

أنهما لم ترق و لم تبلغ ما بلغته التجارة أما أهل البادية فقد اهتموا وصبوا كل تركيزهم على الأنعام وبالأخص "الإبل " لأنها أشد احتمالا لقساوة الصحراء وأكثرها نفعا و اهتموا كذلك بالخيل لأنها من مظاهر الغزو والنعمة ولأنها عدتهم عند الغارة ومكسبهم في الغزو والحرب والصيد .[1]

هاته أهم موارد ومكاسب العرب ورغم تفاوتهم في الرزق إلا أنهم رضوا بهذا العيش الكريم خاصة إذا عم السلام في المنطقة هذا الأخير يعتبر المطلب لذي يتمنونه رغم أن حياة العربي لم تعرف الأمن إلا نادرا وشاعت أيام العرب وتفاخروا بها بينهم .

2- أيام وحروب العرب الجاهلية :

لقد عاشت العرب في شعوب وقبائل مختلفة ،متخاصمة ومتنافرة ،تفتخر كل واحدة بشرفها وكرمها عن غيرها وتعتبر بفرسانها وشجاعتهم وتهجو غيرها وتقلل من شأنهم ، وما تحدث خصومة إلا تغالوا فيها وأشعلوا فتيل الحرب من أجلها ،فطبيعتهم قائمة على هاته المنطلقات وكأن الحرب من المسلمات عندهم و تتطاحن وتتعادى وتتقاتل من أجل المواقع الاستراتيجية وتفرض هيبتها على القبائل المجاورة لها لتحصل على حصة الأسد من مواقع الغيث ومنابت الكلأ حتى لو اضطرها الأمر لا اغتصابه اغتصابا بالسيوف والرماح وتفرض سيادتها للمنطقة على سائر القبائل الأخرى ، وتدفع الأموال والأرواح للمحافظة على الشرف و الكرامة والدفاع عنه ،ومن طباعها أنها تقدس الحرية ولا تسكت على

[1] ينظر :يحي الجبوري ،الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه ،ص 76-77.

الضيم أو العدوان ولا تتخاذل عن الأخذ بالثأر والذي لا يمكن التساهل فيه وتقوم من أجل الدنيا فلا يطلب لهم عيش حتى يأخذوا بثأرهم .

فالقبائل في أهبة واستعداد دائمين للحرب لتبقى مألوفة عندهم فلا يتراخوا ولا يتقاعسوا إذا ما طرأ طارئ كالإغارة أو الغزو اللذين هما من سنن كينونتهم، وإذا لم يجدوا الأعداء أثاروا على الأقرباء ، ولهذا كانت حروبهم كثيرة دائمة ،فلا يستريحوا من وحدة حتى يخوضوا أخرى ، ولو نصرة حلفائهم وأقاربهم ،وقد تغنوا بحروبهم وتفاخروا بها في أشعارهم ،ووصفوا معاركهم وأدوات قتالهم وأسلحتهم ورثوا قتلاهم وهجوا أعدائهم وأسراهم ،وقد تعددت أيامهم وحروبهم التي أزهقت الأرواح وشردت ويتمت وثكلت ولا يقبلون من يتدخل في الصلح بينهم ودفع الديات ولا يهنئ لهم بال على الصلح حتى تأتي هذه الحرب على الحرث والنسل .[1]

ومن أشهر أيام العرب وحروبهم :

1- حرب داحس والغبراء :

كان سبب نشوبها سباقا على رهان بين الفرسين داحس والغبراء ، وكان قد أجراها سيدا عبس وذبيان ،فنيس بن زهير وحذيفة بن بدر ،وأوشك داحس أن يفوز إلا رجلا من ذبيان أعترضه، فعدل عن الطريقة ،وبذلك سبقه الغبراء ،ولم يعترف قيس بهذا السبق

[1] ينظر :محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ،ص77.

وطلب بالرهان فرفض دفعه ،ودامت الحرب بينهما سنوات عديدة الى أن تدخل سيدان من ذبيان هما صدم بن سنان والحارث بن عوف المري فتحملا ديات القتلى .[1]

2- حرب البسوس :

أشعلت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي ،وكان سببها اعتداء كليب سيد تغلب الدي طغى واشتد بغيه على ناقة البسوس خالة جساس بن مرة بن سيد بكر إذ رمى ضرعها بسهم فاختلط لبنها بدمها ، ولما علم جساس بما حدث ثأر لكرامته ،وسنحت له فرصة من كليب فقتله ،ودارت رحى حرب طاحنة ضلت فيما يقارب أربعين سنة ،فكثرت أيامها مثل يوم عنيزة وكان سجالا بين الطرفين ،ويم واردات وكان التغلب على بكر ويوم (تحلاق اللمم) وفيه انتصرت بكر ،ولما أنهكت الحرب الفريقين لجؤوا الى الحارث بن عمروا الكندي فأصلح بينهما ،وأقر كما مر بنا على بكر أبنه شرحبيل وعلى تغلب ابنه سلمة ونمت في العصور الإسلامية أساطير حول هذه الحرب وبطلها التغلبي المهلهل أخو كليب ،وأفت عنه قصة شعبية باسم "الزير سالم "[2]

نقصد بأيام العرب الحروب والمناوشات التي وقعت بين بعض القبائل العربية ، وتكون هذه الحروب من عدة معارك وتستغرق كل معركة منها غالبا يوم واحدا ولهذا اسميت بالأيام فيقال ايام العرب ...

[1] محمد رضا مروة ،الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 1990 م ص 14.

[2] ينظر :محمد عبد المنعم خفاجي :الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ،ص77.

وتنقسم أيام العرب في الجاهلية قسمين :أيام داخلية ،وأيام خارجية فالأيام الأيام الداخلية حروب ومناوشات وقفت بين عض القبائل العربية وبعضها الأخر :

- أيام ربيعة بيتها من مثل حرب البسوس بين بكر وتغلب .
- أيام مضر بين قيس مثل ايام داحس والغبراء بين عبس وذبيان .
- أيام القحطانين فيما بينهم ،ومن مثل حرب الأوس والخزرج اليمنين أما الايام الخارجية فهي الحروب التي وقعت بين القبائل العربية وبعض الأمم المجاورة ومن والاها من القبائل مثل يوم ذي قار وقد عرفت أيام العرب الجاهلية قواعد وأسس كالذي عن قتل النساء والمحافظة على الأسرى وحسن معاملتهم [1].

هاته اهم ايام وحروب العرب في العصر الجاهلي والتي اهلكت وضيعت وازهقت الكثير من الارواح وكبدت خسائر لا تعد ولا تحصى فالمجتمع الجاهلي عانى ويلات الحروب التي كان لابد من تفاديها .

[1] عبد العزيز نبوي :دراسات في الأدب الجاهلي ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر ،طبعة مزيدة ومنقحة ، 2004 م ،ص38-39

الفصل الأول

الصعاليك غزوهم وشعرهم وأبعادهم النفسية

الفصل الأول : الصعاليك غزوهم وشعرهم و أبعادهم النفسية

مفهوم الصعلكة:

1- المعنى اللغوي :

وردة لفظة "صعلك" في لسان العرب لابن منظور فأشار الى ان صعلك جذر رباعي على وزن فَعْلَلَ ،والصعلوك الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد ،يقال: تصعلك الرجل إذا كان كذلك [1] .قال حاتم الطائي:

غَنَيْنَا زَمانَا بالتصعلكِ والغنَى فَكُلاَ سقنَـاهُ كَاسيهمَا الدهـرُ

فَمَا زَادنَا بغيا عَلى ذِي قَرابَةٍ غَنانَا ولاَ أَزدري باحسابنا الفقرُ

وقيل « تصعلكت الإبل أي خرجت أوبارها وانجردت وطرحتها ،قال شمر تصعلكت الإبل إذا دقت قوائمها من السمن و صعلكها البقل ،وصعلك الثريدة جعل لها رأسا »[2]

ويذهب شوقي ضيف في تعريفه للصعلكة بأن يجعلها نفس المذهب فجعلها رديفا للفقر والخصائص بقوله «الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة[3] »

---

[1]- إبن منظور ،لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي ،ط1 ،بيروت 1988،جزء 7 (مادة صعلك) 443/12.

[2]- المرجع نفسه، إبن منظور ،لسان العرب ،ص307.

[3]- عمارة إخلاص فخري ،الشعر الجاهلي بين القبيلة والذاتية ،مكتبة الأدب ،ط1،نة 1991

غير أن الدكتور يوسف خليف يرى بأن التعريف الشامل «أن الصعلوك في اللغة الفقير الذي لا مال له يستعين به عن أعباء الحياة ولا اعتماد له على شيء ولا أحد يتكئ عليه ليشق طريقه فيها ويعينه عليها حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة ويواجهون مشكلاتها يدا واحدة »[1]

2- اصطلاحا :

تتردد مادة صعلك في العصر الجاهلي بصورة واسعة في شعرهم فنراها تدور أحيانا في المعنى اللغوي الذي تحدثنا عنه سابقا وهو الفقر في بيت حاتم الطائي فالمقابلة في هذا البيت التصعلك والغنى تدل يوضح على استعماله التصعلك في معنى الفقر البيت التالي يوضح ذلك :

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا أزري بأحسابنا الفقر

وقد تخرج اللفظة عن دائرتها اللغوية ودائرة الفقر الى دائرة أوسع منها هي دائرة الغزو والنهب وبعضهم يرى أن المفهوم الاصطلاحي للفظة تكمل المفهوم اللغوي ،فالصعلوك يبدأ فقيرا ولكنه لا يرضي بفقره وحرمانه فيحاول أن يجد وسيلة يتخلص عن طريقها من فقره ،فيلجأ الى حمل السلاح وقطع الطريق مثلما يظهر . لنا في ابيات عمرو بن براقة

[1]- يوسف خليفة الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،القاهرة ،ط3،ص23.

الهذلي لما يغير رجل من قبيلة مراد على إبله وخيله فيذهب بها ،فيأتي عمر الى إحدى المكاهنات العرب يستشيرها ثم يتغير على المرادي فيستاق كل شيئ له ويقول[1] .

تــقول سلبي لا تعرض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك تائـم

وكيف ينام الليل من جل مالـه حسام كلون الملح أبيض صارم

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخلي المسالـم

فالمفهوم الاصطلاحي للصعلكة هو الغزو والاغارة للنهب والسلب عند يوسف خليفة بينما يرى الدكتور عبد الحليم حفي أن لفظي الإغارة والغزو ،لا يشملان كل أساليب الصعلكة كاللصوصية هاته الأخيرة لم تقتصر على الصعاليك وحدهم بل كانت طابعا عاما للعصر الجاهلي زيادة على هذا يمكن إضافة الثار والانتقام الى الصعلكة ويضيف أيضا أن هناك ملاحظة في العدم تمويله التعريف وهي أن من أهداف الصعلكة كذلك سبي النساء كما يرى في أخبار كثير منهم كعروة بن الورد والسليك بن السلكة[2] .

[1]- يوسف خليفة : الشراء الصعاليك في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ،ط3 القاهرة ،مصر 1978 ،جزء 1 ص24.

[2]- نفس المرجعــ ص25.

نستطيع ان نعرف لفظة الصعاليك فنقول:

هي لفظة تخص من تجرد و قطع الطريق و هم جماعة احترفوا القتال و الغزو بكل انواعه و حملوا السلاح معتمدين على سواعدهم و امكانيتهم واصطبروا على الشدائد الحياة ومواجهين و متحدين الاخطار بكل انواعها لأجل غايات تتباين بين كل فرد فيها ويطلق عليهم اسم الصعاليك و يمكن التمييز هاته الجماعة التي اتحدت و تألفت من خلال طوائفها الرئيسية الثلاث : الخلعاء ، الشداد ، الاغربة السود : الفقراء المعدمين.

- **طائفة الخلعاء " الشذاذ:**

هم الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم حتى اصبحوا غير مرغوب فيهم فأنكرهم قبائلهم و طردهم من حماها ، و اضطرت الى قطع صلتها بهم و اعلنت البراءة منهم و تحللت العقد الاجتماعي الذي يربط بينها و بينهم .

- **طائفة السود (الاغربة):**

سموا بالاغربة تشبيها بالغراب الاسود و هما بناء الحبشيات الذين سرى اليهم السواد من امهاتهم الاماء فلم يعترف بهم اباؤهم لان دمائهم غير عربية خالصة و غير نقية ، انما

شابهها دم غير عربي فلم يعودا عربا اصلا و لم يلحقوا بآبائهم لعار سوادهم ، و لقد كانت هذه الطبقة فقيرة مهانة تعيش على هامش المجتمع الجاهلي[1] .

- طائفة الفقراء المعدمين الذين احترفوا الصعلكة احترافا و ثورة منهم على الظلم الذي لحق بهم بسبب البناء الطبقي و قد ظهرت من هاته الطوائف شعراء كان لهم الاثر البالغ في وصول اخبار هؤلاء الصعاليك و مثلوا بني جنسهم ، ووصفوهم و دونوا حياتهم و طرق و ظروف عيشهم و مغامراتهم ودوافع صعلكتهم .

2 – شعراء منتمون الى قبائلهم :

- الشعراء المخلوعين : (اغربة العرب) : اشهرهم تأبط شرا ، و الشنفري و التسليك بين السلكة ن و عمرو بن براق ، قيس الحدادية.[2]

- الشعراء منتمون الى قبائلهم : وهم شعراء هذيل الدين احترفوا الصعلكة احترافا منهم ابو كبير الهزلي ، وعمرو ذو الكلب وصخر الغي ، اضافة الى عروة بن الورد

شعراء منتمون الى قبائلهم : جماعة احترفت الصعلكة احترافا سواء كان فردا كعروة الورد او القبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل و قهم ومن الهذلي ، ابو خزانة ، ابوا الكبير عمرو ذو الكلب ، صغر الغي.

[1] عتيقة بالمعاني ،البنية الهجائية في شعر الصعاليك ،شهادة ماستر ،جامعة ورقلة ،سنة 2016،ص23.

[2] عبد الجليل يوسف :دراسة أسلوبية ،أطروحة الدكتوراه ،جامعة بسكرة ،2016-2017،ص6.

لقد كان هؤلاء الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي افرادا متميزين من حيث كونهم ذلك فروسيته و قدرته على القتال فانه يكون قد جمع امكانات الرفض لأي وضع لا يتفق و شاعريته من ناحية و فروسية من ناحية اخرى.

و تختلف نظر الدارسين و تتباين الصعاليك فهناك من لم ينظر ليه على انه ذلك الفقر الدم حسب ، بل يونه فارسا فاتكا و صغيرا ، ذا قوة ويأس و شجاعة خشاه الكل و يهابونه ، و قد توترا جماعات انتشرت في رجاء الجزيرة العربية ، ينهبون ما يلقونه في صحرائها الموحشة ، و يستولون على كل ما من شأنه ان ينفعهم .

رغم كل تلك الاقاويل و التعريفات لا يمكن لنا او لاي دارس كان ان ينفي ان الفقر كان اهم دوافع هذا السلوك لدى الصعاليك و لا يمكن ان يكون هو الواقع الوحيد ، بل هناك عدة عوامل كان من شأنها ان تحدث الاثر البالغ في نفسية هاته الفئة .

فالصعلكة سلوك عدواني اتخذته هاته الجماعة او الطائفة من الفقراء و المعدمين ذو النفوس القية و الهمم العالية هروبا من الواقع الاجتماعي متردي و هروبا من ذل السؤال كذا العيش تحت كنف قبلية تغيب فقط ابسط مظاهر لعدالة و التكافل الاجتماعي[1] و يمكن

[1] عبد الحليم خفني : شعر الصعاليك ،منهجية وخصائص ،الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،مصر ،1979، 38

ان تختصر كل هاته التعارف في قول الدكتور عبد الحليم حتفي عن الصعلكة هي احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم .[1]

وقد تتشارك الصعلكة في مدلولها ولا يسع البحث في هذا الموضوع تجاهلها فموضوع البحث لا تعنيه الصعلكة بمدلولها اللغوي و هو الفقر ، و انما يعنيه مدلولها العرقي و هو اللصوصية و قطع الطريق ، و باقي سال يبهم العدوانية و هذا المدلول تؤديه او تؤدي بعضه الفاظ اخرى تعارفت كتب التاريخ و الادب العربي ان تصف بها هذه الطائفة(الصعاليك) فنجد بعضها يتدخل فيؤدى معنى البعض الاخر كما فعلت معاجم اللغة في احالتها معنى التصعلك على التذؤب و اللصوصية[2].

وهذه الالفاظ كثيرة ، اشهرها لص ، ذئب فاتك ، خليع ، شيطان ، وبعض هذه الالفاظ ألصق بالصعلكة ومن بين الالفاظ السابقة لقيت كلمة ذؤبان اهتماما في توضيح مدلولها العرقي اكثر من غيرها ، ففي قاموس المحيط ذؤبان العرب لصوصهم و صعاليكهم فيقال لصعاليك العرب الصوص و ذؤبان لانهم كالذئاب .

[1] محمد رضا مروة :الصعاليك العصر في العصر الجاهلي ،أخبارهم وأشعارهم ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،دط ،ص37.

[2] صناء غني لفتة ،البنية السردية في الشعر الصعاليك ،دار حامد للنشر والتوزيع ،2010 ،ط1 ،ص20.

ب- الرفض والخروج من النظام القبلي:

لقد كان للمجتمع الجاهلي نظامه الاجتماعي الذي يقوم على اساس القبيلة التي يقوم بناؤها على العصبية ، سواء كانت عصبية قبلية ام عصبية الرحم.

ولما كانت عصبية الرحم تمثل عنصر القريب من الدرجة الاولى ، فالعصبية القبلية تأتي من الانتماء لجد واحد او اب مشترك للقبيلة كلها.

فهذا النظام القبلي المحدود اوجد رابطة قوية بين الفرد و القبيلة ، فالفرد كان له على القبيلة حق الحماية ،ليس في الحياة فقط ، بل الى الموت ، ممثلة في الاخذ بالثأر مثلا ، اما القبيلة فلها على الفرد الخضوع لرأيها الجماعي ، فلا يجوز له الخروج على قرار تتخذه قرارا فرديا دون اي تجيز له القبيلة ذلك ، و إلا تعرض للطرد او الخلع ، الذي ربما يأخذ في بعض الاحيان طابع الاعلان الرسمي في المواسم و الاسواق[1].

فهذا النظام كان له بالغ الاثر في تأزم الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية فانقسام المجتمع الى طبقات ثلاث (سادة ، موالي ، عبيد)احدث فورقات و تشققات في نفسية كل فرد في القبيلة وادى الى زيادة المعاناة بأنواعها من تمايز و عبودية وظلم و احتقار و اذلال فساهم ذلك في تعزيز الفروقات بين طبقاته خاصة طبقة العبيد التي ذاقت جميع انواع الذل و الحرمان ، و تسليط الطبقة الغنية على رقابها اصافة الى كل هذا ما

[1]عبد القادر عبد الحميد زيدان ، التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء ، الاسكندرية . مصر ط (1) سنة 2003 ص 47

يلاقيه العربي تلك البيئة شبه المنعدمة ، فالقبيلة اذا لم تكن في حالة هدوء تام بل كان هناك مجال للتوتر بين الفرد وقبيلته الذي لا يمكن انكاره ، و لم هذا سبب تصرفات الافراد او خروجهم عن العرق و التقاليد المتعاقد عليها ، بل احيانا ما تكون القبيلة هي البادئة بخلق هذا التواتر ، وذلك عندما تتخلى عن احد افرادها الذي هو في امس الحاجة الى من يقف بجواره و يتكأ عليه ، لا ن يتخلى عنه في اسوء ظروفه[1].

فإيمان القبلية بوحدتها امر مقدس و تترتب عليه قوانين و عادات و تقاليد كانت بمثابة الدستور الذي ينظم سياسة القبيلة وحياة افرادها اذا هذا بايجاز اسهام البناء الاجتماعي في خلق التوتر بين القبيلة و الفرد فقد كان للعقل الجماعي اسهاماته كذلك في خلق مثل هذا التوتر زيادة على هذا كان الفرد في داخل هذا النظام مقيدا في بيئته واسعة بحيث لا يمكنه ان يشذ عن الاتجاه الجماعي ، فكان ليه ان يقوم بكبح رغباته الذاتية خاصة و ان الحاجة الى الامات في مثل هذه البيئة التي تفتقر اليه.

لقد مرت حياة هؤلاء الصعاليك بدورين اجتماعيين:

[1] نفس المرجع ص 48

الدور الاول : فترة ما قبل التصعلك تلك الفترة التي كان الصعلوك عضوا عاملا في المجتمع يقوم بما يترتب عليه من سهام مثله غيره من الفرد قبل ان يبلغ سوء توافقه الاجتماعي الذروة التي يبدأ منها الدور الاخر في حياته الاجتماعية و هو فترة تصعلكه او موته. [1]

فإيمان القبيلة بوحدتها امرا مقدسا تترتب عليه طائفة من التقاليد الاجتماعية كانت بمثابة الدستور الذي ينظم سياسة القبيلة و حياة افرادها و يحدد ما لهم من حقوق و ما عليهم من واجبات ، فارتباط الفرد بالقبيلة ارتباط محكم لاشعور يجري في عروقهم مع الدم و اصبح سلوكا كالعادة و التقاليد يفعلنه بالعاطفة دون التفكير ومن الطبقي ان يفقد هؤلاء ايمانهم بكل معاني القبلية ، يكفروا بها ، ينقلبوا عليها انقلابا تاما و ربما يصل بعضهم في توجيه نزواته اليها لما عانوه جراء هذا النظام الجائر الذي لم يلق قبولا بل تم رفضه من طرف بعض فئات المجتمع خاصة المهشمة منها كالعبيد الذين ذاقوا الويلات من ظلم او احتقار و اذلال.

ان النشأة الطائفة الصعاليك عوامل قد اجتمعت تباعا لبعضها حتى القت هذا الجماعة المتشردة في الصحراء العربية ، وهؤلاء انفسهم كان لديهم الدافع و الحجة للقيام بهاته الاعمال من سلب و نهب و التي فرضته عليهم الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية التي كان لهما دور في ذلك و جماعات الصعاليك التي انتشرت في الصحراء قطعت ما بينها و

[1] محمد رضا مروة :الصاليك في العصر في الجاهلي اخبارهم و اشعارهم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ط 1 - 1990 ص 47

بين قبائلها من صلات و انطلقت الى الصحراء كما تنطلق الذئاب الجائعة لتشق لنفسها طريقا في الحياة ومن الدافع التي ادت بهر الى الخروج عن قبائلهم و سلوكهم هذا الاتجاه العدواني فقدهم التوافق الاجتماعي و لا تقتصر على هذا فقط بل تتعدى ذلك لشمل الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و حتى البيئي ، نذكرها فيما يأتي:

1- عدم و جود دولة جامعة:

عاش المجتمع العربي في عصر الجاهلي في ظل النظام القبلي عصورا طوالا ، و كانت القبيلة في ظل هذا النظام وحدة سياسية مستقلة تقوم مقام الدولة و النظام السياسي القائم على وحدة الامة كلها ، و كان لهذا المجتمع نظمه و اغراضه التي تصون الحياة و تبعث في من يعيشون في ظله الشعور بالأمن و الاستقرار و الطمأنينة ، و هذه السلطة لم تلق استحسانا بل لم تلق حتى القبول خاصة من طرف هؤلاء الصعاليك فرفضوها و تمردوا عليها.

لقد عبر الشنفرى عن رفضه و امتعاضه للمجتمع البشري و نظامه السائد و الثروة عليه و الهجرة الى مجتمع الوحوش التي الفته و احتضنته خيرا من قبيلته ، فيصرح ذلك في لاميته المشهورة[1]:

اقيموا بني امي مطي صدوركم فاني الى قوم سواكم لأميل

[1] عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه و خصائصه ص 45

و في الارض منأى للكريم عـن الاذى وفيها لمن خاف العلى متعزل

لعمرك ما في الارض من ضيف على سرى راغبا او راهبا وهو يعقل

ولي دونكم اهلون سيد عـملـس و ارقط زهلول و عرفان جيأل

هم الاهل لا مستودع السر ذائع لديهم و لا الجاني بما جر يخذل[1]

و لم تكن للعرب دولة تجمعهم بحيث يشعرون معها بالخضوع و الانقياد و هذا ما جعل و الصعاليك يعتزون بذلك و مفتخرين بأهم لا يرون لاحد سلطانا على حياتهم و سلوكهم فنزعة التحرر في الجاهلة كانت حاضرة لانهم لا يؤمنون بأي سلطان عليهم ومن اي نوع فنجدهم يغنون بها في اشعارهم كما يقول تأبط شرا [2] :

اني زعيم لئن لم تتركوا عذل ان سأل التي عني اهل افاق

ان سأل القوم عني اهل معروف فلا يخبرهم عن ثابت لاقى

[1]- إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص: 58.

[2]عبد الرحمان مصطفاوي ديوان تأبط شرا، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط2 ، 2006، ص:43.

فعدم جود دولة جامعة و سلطة قائمة ادى ببعض الافراد خاصة ممن كانوا يفكرون بالتصعلك الى التطاول عليها و الاستهزاء بقوانينها فشاعت الصعلكة بسبب وجود التسليط و غيابها و لو وجدت لما حدث مثل هذا الانشقاق و الخروج عن هذا النظام.

و من ناحية اخرى لم يكن هناك قانون بمعناه الحقيقي و انما مجرد عرف اجتماعي في اعراف و التقاليد عليها المجتمع ، رغم ان تنفذها لم يكن ثابتا بل يتأثر بالاعتبارات الذاتية اكثر من القيود الاجتماعية ، فالتقييد بالأعراف عند العرب له مظهر عجيب و تناقض واضح فأحيانا يتمسكون به و يلتصقون حد المبالغة ، و احيانا اخرى يستهينون حد التجاهل .[1]

2- ظهور زعامات غير متزنة:

تمثلت هذه الزعامات في رؤساء القبائل و العشائر ، فهؤلاء لم يكن هناك قانون ينظم و وصلهم للرئاسة بل مجرد صفات تعارفوا عليها ، فيسود من تتوفر فيهم هامة الصفات غير انها لم تكن موحدة ، فكل منطقة او كل قبيلة و ما تشترطه من صفات ، فهناك من تشترط ذا الرأي ، و اخرى الكرم ، وغيرهما النسب ، و الخصال المشترطة غالبا تتراوح بين ها ته الصفات " السخاء و النجدة ، و الصبر و الحلم ، و التواضع و البيان " فمن هذا الاختلاف و الاضطراب في تحديد مقومات السيادة اساسه عدم و جود قانون ولو

[1] عبد الحليم حفني : شعر الصعاليك منهجه و خصائصه ص 46.

عرفي يقضي بذلك ، و مما يجره ذلك هو اندفاع بعض الرؤساء و زعماء القبائل في الظلم و الطغيان ، الاحتقار و كذا احتكار موارد الرزق و كذا موالاة ذوي القربي و نصرتهم على غيرهم حتى ولو كانوا ظلاما و كلنا يعرف بأن المجتمع العربي يأبى الظلم و الطغيان و يتمرد عليه و بعد هذا من اسباب التمرد و الصعلكة في احيان كثيرة[1].

3-عدم التوازن بين الغني و الفقير:

نرى من خلال تعارف الصعلكة بأن اصل كلمة الصعلكة و اسبابها الفقر و قلة موارد العيش وان ما قامت عليه في شأنها الفقر.

فالشعراء تحدثوا باسهاب عن هذا الموضوع ، فنكاد نجزم بانه سببهم الوحيد للخروج و الانحلال من القبيلة ، فلا نكاد نجد شاعرا لم يتكلم عن الفقر و صوره و اثاره في شعره فما بالنا لو كان هذا الفقر في اقسى صورة يقول السليك بن السلكة:

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني اذا قمت تغشاني ضلال فأسدف

لقد بلغ الجوع مبلغا وفي المقابل نجد عظيما عنده فحتى في الصيف الذي تكثر فيه البان البادية و خيراتها لم يجد ما يسد به رمقه ، وفي المقابل نجد بعض الافراد خاصة الرؤساء و مقربيهم في ثراء فاحش لا تكاد تأكله النار اذا ما اتت عليه وهذا ما أدى بالافراد ان يطلبوا الغنى بكل و سائله فهو يمثل الحياة و القوة و الجاه لمن اراد ذلك.

[1] عبد الحليم حنفي :شعر الصعاليك منهجية وخصائص ،ص53.

كل هذا الثراء لبعض الجماعات و القبائل رغم مواسم القحط التي لم يجد فيها ، البسطاء ما يأكلون اضافة الى ضعف موارد البيئة ، التي اساسها السيف فمن الطبيعي ان لا يكون هناك توازن او حتى تقارب في الثروة ، فانه حتى فرد او جماعة كان غناهما على حساب غيرهم ، ومن هذا الباب لم يرض بعض الافراد ان يلاصقه او يجاوره اناس يرتعون في الثراء و النعيم بينما هم في بؤس و حرمان ، فهذا ما احدث تلك الفجوة خاصة اذا كان هؤلاء الاثرياء بخلاء ولا يجودون بما رزقوا، وقد ذكرت اشعار كثيرة تتحدث في هذا الجانب و من هذا قول عورة بن الورد[1]:

دعِيني للغنى أسعى، فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

وأبعدُهم وأهونُهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير

ويُقصِيهِ النّدِيُّ، وتَزْدرِيهِ حليلته وينهره الصغير

ويلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليلٌ ذنبُهُ، والذنبُ جمٌّ ولكن للغِنى ربٌّ غفورُ

[1]- الديوان ، ص: 79.

هذا الحرمان كانت له عواقب و خيمة فاضطر بعض الافراد خاصة الصعاليك منهم الى التطلع للغنى و الحصول على الاموال بكل الطرق و الوسائل و لم يقتص الامر على هذا فقط بل حتى القبائل نفسها ترى القبائل المجاورة لها تنعدم في خيراتها فتغزوها و تنهب ما تستطيع منه خاصة في مواسم الشدة و القحط خوفا من الصوت فهنا يثور الاحساس بالفقر و ما يولده هذا الاخير من الصرعات تصل الى ترك حياة القبيلة و امتهان الصعلكة و الاعتماد على السطو و الاغارة للسلب النهب.

– عوامل الرق و العبودية:

فالعبودية وما ينتج عنها من ظلم و احتقار و رفض هاته الطائفة لهاته الحياة فهؤلاء المحرومون حملوا لواء الرفض و ان لم يكونوا جميعا فلم يرضوا بما رضوا به غيرهم من العيش في خدمة سادتهم ، فانعين لما يتبقى من موائدهم من فتات يقيم لهم اود حياتهم و يدرأ عنهم الهلاك ، فالمجتمع على الرغم من نظامه القبلي كان لا يقبل الضيم ، فخروج هؤلاء الصعاليك كان هذا احد اسبابه.

– عوامل اخرى:

هي تلك العوامل المتعلقة بالفرد وحده و تحكم عليه اثارها دون مشاركة المجتمع له فيها ، وهي ظروف كثيرة كالاغربة ، فهو يولد اسود اللون لان امه امة من الاماء السود ، فهو

ينشأ في ظروف قاسية خاصة النفسية منها ، و نظرة المجتمع له ما تزيد في تفاقمها و نتائجها السلبية على نفسية ذلك الفرد.

- و هناك عوامل خرى كالوراثة و الشذوذ :و ما يترتب عليها من سلوكيات مختلفة كإدمان الخمر ، فهاته السلوكيات تخرج عن طورها المتعارف عليه فتنقلب الى زاوية معاكسة مما تدفع بالقبلية الى خلع من يخرجون عن طاعتها او كثرة جرائرهم حتى لم يعد مرغوب بهم وسط القبيلة.

وهناك مصدر اخرمن المصادر الثروة في المجتمع العربي القديم وهو التجارة و الاسواق التجارية التي تعتبر المورد الاساليب المعتمد في الحياة الاقتصادية فقد كانت لها عوامل هي الاخرى في خلق حركة الصعلكة فكانت صيدا ثمينا يغرى الصعاليك ، فالقر لم يكن السبب الوحيد ولا الاهم على الرغم من ان الصعاليك اختصوا بسرقة مجالين اكثر من المجالات الاخرى ، مجال المخائض ، مجال التجارة[1] .

1- طبيعة الارض و الحياة :

ان اراض الجزيرة العربية يغلب عليها الطابع الجبلي الصحراوي فهي تخلق حصونا طبيعية لمن يلوذ اليها ، تحميهم وقت ما يطلبون الحماية و تخفهم وقت هروبهم وعلى الرغم من

[1]- عبد الحليم حفني ،شعر الصعاليك ،منهجية وخصائص ،ص63.

قساوة بيئتها ذات البرد الشديد و الحرا الاشد منه ، و قد ذكر الصعاليك طبيعتها في شعرهم فيقول الشنفرى :

وليلةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رُبّها وأَقْطُعَهُ اللاتِي بها يَتَنَبّلُ

ويتحدثون عن حياتهم ايضا في هذه الاماكن الموحشة التي تعد حصونا لهم ممن يتعقبونهم ، وما أكثر مطالبيهم و مطارديهم لكثرة ما يجدون و يفترون فاستبدلوا حياتهم هذه سكان حياة القبيلة ، يقول الشنفرى

أقيموا بني أمي ، صدورَ مَطِيكم, فإني فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ.

ويقول:

ولي ، دونكم ، أهلونَ : سِيْدٌ عَمَلّسٌ وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جيألُ

فطبيعة البيئة العربية عنيفة لما اقتضته من صراع دائم بين القبائل و الغزو و الاغارة بينها لتشبث كل جماعة بالحياة و للحفاظ على كينونتها.

2- الغزو و الحرب في حياتهم:

لقد طع على قلوب الصعاليك عندما خرجوا من كنف القبيلة ، فلم تعد حياة القبيلة لائقة بهم . فكان لا بد لهم من اقامة قواعد و سنن العيش للمحافظة على كينونتهم ، فكانت

الغزو و الحرب لزاما عليهم على الرغم من ان الغزو و الاغارة بعد مظهرا شائعا تقوم عليه حياة القبائل ككل ، فهو امر طبيعي و قانوني عندهم دوافعه متعددة منها:

- الحاجة : فان اجداب الجزيرة العربية و اخطار الطبيعة قد تأتي على ما تملكه القبيلة فتضطر الى الغزو لتنهب من القبائل الاخرى اموالهم و مواشيهم و قد تكون دوافع الغزو حب السيطرة و السيادة[1] .

و الفارق بين الصعاليك و غيرهم في انهم كانوا يتخذون من هذه الحياة ما يشبه رفة في التفرغ لها المداومة عليها و الانقطاع لها . فالصعلوك لم يخرج عن ذلك العرق الذي ساد المجتمع الجاهلي حيث كانت الحرب شريعتهم الا ان الحرب عند القبائل لا تكون في اغلب الاحيان من اجل الغنم و اللب و النهب فثورة هؤلاء الصعاليك و غزوهم المستمر لم يكن فيما يبدوا ، بحثا عن الغنى كغاية في ذاته فحسب ، بل كانت هناك رغبة وراء ذلك كله " رغبة في تحطيم هذا المجتمع الظالم البعيد عن كل قيم الانسانية.

اختلف الصعاليك كل واحد عن الاخر في سبب غزوه و اغارته فمنهم من كل طالب ثأر ومنهم من كان رد اعتبار و اخر باحثا عن الغنى و اخر هدفه تحقيق التكافل الاجتماعي ، هذا الاخير قد على الحرب عن الغنى و الاغنياء و اعتمد على مبدا الاشتراكية فكانه يقول بان اموال الاغنياء فيها حق لهؤلاء ، و نصي منه ، فظهر من هؤلاء من يسطو على

[1] حسن عبد الجليل يوسف :الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص مختارة مؤسسة المختارة ،القاهرة ،مصدر ،ط1 ،2001،ص121.

الاغنياء خاصة البخلاء منهم و يقسمها على من معه ، ولا نذكر ان هؤلاء قد لتمسوا الغنى و الثروة ، ربما رغبة في وجود يوفر لهم ما يرجون من علاقة ، وليس من الغرابة ان تهتم الذات بالمال فالذات تصبح موضوعية ، الا بفضل الملكية ، ان لم تقل بان الملكية هي صميم الشخصية[1] و الذي يميز الصعلكة عن الحرب ان الصعلكة مواجهة بين الافراد ، اما الحرب فهي مواجهة بين قبيلتين او جماعتين و الصعلكة قرار فردي ، اما الحرب فقرار جماعي[2].

- دور الشعر العربي في حياة الصعاليك:

لقد لعب الشعر دورا بارزا في حياة الصعاليك ، بل نكاد نجزم بأن له الدور الاهم و الفضل في وصول قصصهم ودوافعهم المختلفة ، فلولاه لم يكن لتصلنا اخبارهم و طرق عيشهم و يومياتهم وما عانوه في طريقهم هاته من صعوبات و مخاطر تهدد حياتهم و من الطبيعي ان يخالف الصعاليك المجتمع الذي تمردوا عليه في طرق عيشهم و قوانينهم حتى طبيعة شعرهم و موضوعاته ، فتميزوا في كل شيء و جعلوه خاصا بهم و اضحى شعرهم معبرا عن حياتهم الجديدة التي الفوها بطبيعتها و يصفها وصفا دقيقا على الرغم من انها وجدت مجموعة من القصائد و المقطوعات التي قبلت في اغراض قبلية ولها سمات الشعر الجاهلي و على الرغم من قلتها قبل ان يتحللوا من التزامهم القبلية ، فيخرج شعرهم عن

[1] عبد القادر الحميد زيدان التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ،ص114.

[2] حسن عبد الجليل يوسف :الأدب الجاهلي قضايا وفنون ، ص186.

هاته الاغراض القبلية ، فكما يقول الدكتور حسني عبد الجليل " و علاقة الشاعر بشعره علاقة وثيقة لأنه المعبر الى ذاته و الى غيره من الناس ، و الى عالمه ، وهي الاداة التي يقدم بها نفسه ، كما يقدم بها نفسه كما يقدم بها غيره و عالمه وعلى الشاعر ان يضرب بجذوره في اعماق عصره و واقعه لكي ينتج لنا ادباء و فوق هذا كله لابد ان يتجاوز في نفس الوقت هذا العصر و الواقع ، و ان يحدث نوعا من التوازن او التعامل بين الخاص و العام ، فالشعر ليس ابدع ، منفصلا عن العصور و الواقع[1] "

كان لهؤلاء الشعراء طريقهم الخاصة في سرد ووصف حياتهم فشعرهم اشبه ما يكون بالمذكرة الشخصية التي يدونون فيها افكارهم و مشاعرهم و احساسيهم و حياتهم مختلفة و متميزة عن غيرهم باعتمادها على السلب و النهب و العدوان و ما ينتج عنه من حقد و كراهية و خوف طويل المدى.

ولقد اهتم شعرهم لحياتهم حتى اصبح يومياتهم رغم انه قليل جدا مقارنة بالشعر الجاهليين وها راجع ربما لعدم اهتمام رواة القبائل بشعر من خرجوا من قبائلهم

ولكي يتضح ذلك جيدا علينا التطرق لموضوعات شعرهم فنجد موضوعات جديدة لم تعرف لدى الشعراء غيرهم كالمغامرة و شعر المراقب و التواعد و التهديد ووصف الاسلحة و احاديث الفرار و كذا الفقر و اثاره و صراع الهوان في المجتمع

[1]- حسن عبد الجليل يوسف ،الأدب الجاهلي قضايا وفنون ،ص ص 10-11.

فشعر المغامرة يتمثل في وصف كل ما يحدث في مغامرتهم من الشروع في وضع لحظة المغارة الى انتهاء الغارة بتحقيق اهدافها يصفون في اثناء ذلك الطريق الذي سلكوه و يتحدثون عن رفاقهم في الغارة و دور كل واحد منهم كما يتحدثون عن كيفية انتهاء الغارة و عودتهم الى ملاجئهم ، و تحدث الصعاليك في شعرهم عن التوعد و التهديد يظهر لنا دور الشعر في حياتهم ، فالصعلوك فارس و شاعر اجتمعت فيه كل صفات الفروسية و الشهامة ، فأضحى لشعره دورا متميزة فيصل الشاعر الصعلوك في تهديد قبيلة بأكملها ويبث الرعب فيهم و يجعل لنفسه الف حساب عندهم و كذلك لدور الشعر قيمة كبيرة فالشعر يخد صاحبه و يجعل له روحا خالدة تبقى ما بقي شعره حيا اما من كان غير شاعر فيدفن كل شيء بدفنه ، فشعرهم صدى لواقع حياتهم لانه يصدر من بيئتهم البدوية التي يعشون فيها بكل مظاهرها القاسية من جبال و اغوار و لياليها المظلمة و حيواناتها الشاردة[1] .

"وقد جاء شعرهم اكثره مقطوعات لا قصائد طوال ، ولعل مرد ذلك الى انهم ذو خفة و سرعة لم يألفوا التمهل و التروي و التنميق فجاء شعرهم لما يناسب حياتهم و استعملوا الشعر اداة حرب و تهديد فوصفوا فيه اسلحتهم المختلفة و بثوا فيها روح الانتقام و التهديد فعلاقة الشاعر بشعره علاقة متكاملة تكيف شعرهم مع حياتهم فأضحى لذلك

[1] ينظر يوسف خليفة ،الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،دار المعارف القاهرة ،مصر ،ط3،ص183.

رمزا مرده ان الصعلوك غايته واحدة قطوع قلبه و لسانه و سلاح لاج لهاته الغاية ولا يمكن له ان ينتهي قبل تحقيقها.

ان العلاقة بين المجتمع و الشاعر علاقة وثيقة ، بوصفها علاقة رد بجماعته التي ينتمي اليها و العلاقة بين الشعر و المجتمع هي ايضا علاقة وثيقة بوصف الشعر مظهرا من مظاهر ثقافة المجتمع[1] .

فالشعر عندهم وليد العصر و المجتمع و المعبر عنه و الواصف له .وعلاقة الشاعر مرتبطة بشعره فشعر هؤلاء الصعاليك شعر صادق رغم ما يتخلله من اساطير في شعرهم لها غاياتها المحددة فشعرهم واقعي ينتج عنه ليعالج قضاياه و يبين احواله وهو ترجمة لما عاشوه ، فنرى في تشردهم في جوف الصحراء وما فيها من مخاطر و اهوال فيه وكذلك التغني بالبطولات واستظهار العظمة و الشجاعة ،وحب الحرية وقلة النوم وكثرة التربص ويبرز فيه الثورة على المجتمع وما فيه من مفاسد وعيوب في تكوينه المنهار ويظهر كذلك الكثير من القيم و العادات والاخلاق كنزعة اشتراكية وتطغى فيه صفاتهم من عدل وعفة ونبل والصبر على الشدائد واحتمال الجوع .

فالصعاليك شعرهم حماسي يبرز من خلاله القوة والصبر والالم باختلافه ومحنة الفقراء و المساواة بينهم ونعيم الاغنياء والفوارق بينهما وادبهم ادب الحرية في اسمى معانيها واقوى

[1] حسن عبد الجليل يوسف ،الأدب الجاهلي قضايا وفنون ،ص121.

صورها التي يخلدها الدهر على مر الزمان[1] .

لقد نزل الشعر مترلة رفيعة عند هؤلاء الصعاليك فسجلوا عواطفهم ومآثرهم ومفاخرهم فالشعر يصور حقيقة اهله ونفسية قبائلية ،فيبين لنا حقيقة حياهم وواقعهم الاجتماعي ومحاسنهم وما تمثله لهم ومساوئهم وآفاهم وما نتج عنها فان الشعر سلاحهم ان غاب السلاح ،فلرب كلمة او بيت خير من وقع السلاح فبيت واحد يهم اركان قبيلة باجمعها فكيف اذا كان للصعاليك شعرائهم والاهم من هذا انهم كانوا اسيادا في مجتمعهم فدونوا احداثهم واعتزوا بانتصاراهم في غزوهم وغاراهم وكيف خططوا له وينوا ما حصلوا عليه ،فالشعر كان له تاثيره في توجيه المشاعر و الاهواء فهو الذي يحبب في الخصال الحميدة و المفاخر ، كالكرم و الشجاعة و الصبر و الامانة و العيش في حرية و كرامة و هذا ما كان له وقعة و اثره في نفوس الصعاليك حيث رفضوا الذل و الهوان و العيش على فتات سادهم ، و الشعر بكره و يذم الخصال الذميمة كالبخل و الغدر .

– الجبل (المرقبة):

لقد حفى شعرهم بالجبل أو المرقبة التي تبين وظيفتها فوصفوها وصفا دقيقا فسموها (المراقب) ويقصدون بها أعالي الجبال وقمتها الشديدة الانحدار بعيدة عن الأعين والأعداء والمتربصين بهم فكانت الملجأ والأمان وكذلك لعبت (المرقبة) ، دورا هاما في ترصد

[1] نفس المرجع ،ص123.

القوافل ونصب الكمائن ، فذكروها ووصفوها ولقوها في أشعارهم فما هو الشنفرى يصورها في إحدى قصائده

فيقول (الطويل):

وَمَرْقَبَةٍ عَنْقاءَ يَقْصُرُ دُونَها أخُو الضِّرْوَةِ الرَّجْلُ الخَفِيُّ المُخَفّفُ

نَعبْتُ إلى أدْنَى ذُرَاهَا وَقَدْ دَنَا من اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الحَدِيقَةِ أسْدَفُ

فِبتُّ على حَدِّ الذِّراعينِ مُجْذِيا كما يَتَطَوَّى الأرْقَمُ المُتَعَطِّفُ

فالشنفرى بوصفه هذا للمرقبة وللجبل الذي يحميهم ويخفيهم عن أعين الأعداء ويحاذر عن نفسه وعن جماعته وبوصفه كذلك حياته فيه وما يعانيه ولكنه يفتخر بنفسه وشموخه وعدم ذله وقناعته بان هذه الحياة خير من ما كان عليه.

فارتقاء الجبل يبعث في نفسه الحرية والعز ويصور ارتقاء نفسه على غيره ويعبر عن نساميه في عيش حاضره وإلغاء ماضيه الذي يحطم نفسيته.

– الوحش:

لقد تغنى الشعراء الصعاليك بالوحش في كثر من أشعارهم فحياة الجبل والفيافي والوديان جعلت لهم أهلا غير أهلهم وجهوها حتى ألفوها (ذئاب ، ضباع ....وغيرها) فهاته الوحوش قد انسوها وصاروا منهم وارتبطوا بهم .

كما يقول الشنفرى [الطويل]:

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم، ولا الجاني بما جر، يخذل

بل فضلوها حتى على أهاليهم كما يبين الشنفرى بصريح القول في شعره

-وصف الغزو والغرات والحروب لدى الصعاليك:

كانت الصعلكة سلوك اجتماعي ارتضاه هؤلاء الصعاليك لأنفسهم ونمطا واعتمدوها لحياتهم لا يرون فيه وصمة عار ، بل هو مذهب آمنوا به يرون فيه كرامة لهم تمنع عنهم مذلة السؤال ، لم تكن الغارات عملا مشينا يلحق بهم بل افتخروا بها وذكروها في شعرهم ووصفوها وصفا دقيقا ، وكانت أكثر المناطق التي يغيرون عليها مناطق الخصب يترصدون القوافل التجارية وقوافل الحجاج واهم مناطق ومسالك عبور القوافل إلا وقطعوا طريقها ، ومن أشهر هؤلاء الصعاليك نذكر ، الشنفرى ، تأبط شرا والسليك بن السلكة ، وعروة بن الورد ، وصعاليك هذيل ، اجتمعوا مع بعضهم متآخين ومتضامنين يغزون مع بعضهم

ويتقاسمون الغنائم ونظرا لفقرهم وقلة مالهم لم يكن لهم حتى خيول يركبونها في غاراتهم واعتمد أكثرهم على أرجلهم في طلب رزقهم وغاراتهم ، وقد اشتهروا بسرعة عدوهم حتى قالوا إنهم أعدى من الخيل وعدوا مثالا في عدوهم فيقال:

أعدى من الشنفرى ، أعدى من السليك وقد ساعدهم ذلك في الهروب من تعقب أعدائهم من يتعقبهم و هاته الميزة انفردوا بها عن غيرهم.

ان الصعلكة سلوك عدواني يستهدف الغنيمة الغير إنها لم تعتمد على أسلوب معين إنما اختلفت وتعددت فيها الوسائل حسب طاقات واستعدادات الصعلوك وإمكانياته الذاتية فكل صعلوك إنما يزاول ما يناسب إمكانيات قوة والاستعداد لديه وغزوا وغارات ويختلف الغزوا والغارات باختلاف الصعلوك فكل صعلوك يعتمد على طاقته ومواهبه فمنهم من يعتمد على الحيلة والذكاء ومنهم من يعتمد على سرعة عدوه ومنهم يعتمد على نظره الثاقب وحسن مراقبة وآخر يعتمد على قوته الجسمية والشجاعة ، وتختلف غارتهم وسطوهم ونوعيتها فمنهم من يسطوا على الإبل والأغنام وغيره يختطف الناس خاصة الوجهاء وأسياد القبيلة بغية الحصول على الغذاء وغير هذا كله من هؤلاء من يغزوا انتقاما وحقدا على ما لاقاه من معاناة وظلم ومن الصعاليك من يعتمد على فرسه وعتاده وغره من يعتمد على سرعته وعدوه الذي يسابق الريح في سرعته .

-نستطيع ان نتصور ان أهم مجالات الصعلكة الطرق التجارية ...سواء كانت أساسية أم فرعية وخاصة في مواسم عبور القوافل ومواسم الأسواق والمراعي وخاصة مراعي الإبل والحضائر الخاصة بها ثم ما يعرض من ظروف طارئة غير منتظمة.[1]

-وقد اعتمدوا في حروبهم أو في غاراتهم وغزوهم على مبادئ هامة كأسلوب الكر والفر والمباغتة والحيلة لتعطيهم أولوية على عدوهم نظرا لقلتهم الدائمة وكثافة عدوهم وتسليحه الدائم فهاته الصفات جهروا بها في شهرهم اضافة الى ذلك كله كان من الصعاليك من يغزو لحده طمعا في الانتقام لا الغنائم فقد تعهد بانتقام دن مساعدة احد فقد كان لزما عليه ان يفي بوعده لنفسه أو ممن يسعى لأخذ الثار لهم.

-وقد تغنوا بأسلحتهم في شعرهم

حتى ينام فيأخذه فكمنوا له مكمنا واقبل تأبط شرا فصر بالإبل فطردها بعض يومه ثم تركها ونهض في شعب لينظر هل يطلبها حد ؟

فكمن القوم حين رأوه و لم يرهم فلما لم ير أحدا في أثره عاود الإبل فشلها يومه وليلة والغد حتى أمسى ، ثم عقلها وصنع طعاما فأكله والقوم ينظرون إليه في ظله ـــ ثم هيأ مضجعا على النار ثم أخمدها وزحف على بطنه ومعه قوسه حتى دخل بين الإبل وخشي ان يكون رآه احد وهو لا يعلم ويأتي إلا الحذر والأخذ بالجزم فمكث ساعة وقد هيأ سما

[1] عبد الحليم حنفي : شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص 90.

على كيد قوسه فلما أحسوا نومه اقبلوا ثلاثتهم يقصدون المهاد الذي رأوه هيأه فان هو يرمي احدهم فيقتله وجال الآخران ورمى أخر فقتله وافلت حاجز هاربا واخذ سلب الرجلين وأطلق عقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه.[1]

[1] ينظر عبد الرحمان المصطفاوي : ديوان تأبط شار ، درا المعرفة بيروت – لبنان ، ط2 ، 2006 ص، 58

الفصل الثاني :

الغزو والحرب في شعر عروة

1- عروة بن الورد حياته وشعره .

2- الأبعاد النفسية للصراعات والحروب .

3- صورة المجتمع الجاهلي والحروب والغارات في شعر عروة.

1- عروة بن الورد حياته وشعره :

اسمه ونسبُه:

هو عُروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابنُ عُمر بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن عالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الحريث بن غطفان بن سعد بن قَيس بن عَيلان بن مضر بن نزار.

وهو شاعر مِن شُعراء الجاهلية، وفارس مِن فرسانها، وصعلوك مِن صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد، وكان يلقَّب بعروة الصعاليك؛ لجَمعِه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، و لم يكن لهم مَعاش ولا مغزى، وقيل: لقِّب بعروة الصعاليك لقوله:

لحى اللهُ صُعلوكًا إذا جنَّ ليلُه مضى في المشاشِ آلفًا كلَّ مجزَرِ[1]

أما أمُّه، فليس ثمة من الأخبار ما يشير إليها، ولكنَّ عروةَ نفسه قد كفى الدارسين مشقَّة البحث عنها؛ إذ يذكر في شعره أنها من نهد، من قضاعة، غير أن ما يلفت النظر في حديثه عن أمه، أنه دائم السُّخط على تلك الصِّلة التي ربطت بين أبيه وأمِّه، ويَهجو أخواله هجاءً مرًّا، ربما لأن قبيلة نهد كانت أقل شرَفًا مِن عبْس.

أخباره :

وقد امتاز عروة بأنه أضفى على الصعلكة نوعًا مِن الاحترام والتقدير؛ فقد كاد يجعل منها تيارًا فكريًّا يُترجِم رؤيةً وفلسفةً خاصة في الحياة، تحلَّى بمكارم الأخلاق من سخاء

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر، الجزء الثالث، ط1، ، 1929، ص:73.

كما اضطلع بمسؤولية تفريج الكربات وضوائق العيش عن كل محتاج ألَّمت به الشدائد؛ من أجل ذلك قال فيه معاوية بن أبي سفيان: "لو كانَ لعُروةَ بنِ الورد ولد، لأحببتُ أن أتزوَّج إليهم"، وقد سارت بذكر أحاديثِ كرَمِه الرُّكبان، حتى قال عبدالملك بن مروان: "مَن زعَم أنَّ حاتمًا أسمَحُ الناس فقد ظلم عروة بن الورد"، كما أن الأصمعي قد وصفَه بأنه شاعر كريم، وهي في الحقيقة خصال وشهادات لا أهمية لها في ذِكرها ما دامتْ أخبار عروة نفسها تفيض بأحاديث كرمه[1].

2- الأبعاد النفسية للصراعات والحروب في شعر الصعاليك:

لقد أثرت الحياة الاجتماعية وكذا السياسية والاقتصادية في العصر الجاهلي بتقاليدها واعرافها القبلية على نفسيات المجتمع وطبقاته المختلفة نظرا لما تتضمنه من مبادئ الظلم والاستهجان خاصة للطائفة الدونية في الهرم الطبقي السائد انداك(طبقة العبيد) والفروقات القائمة بين مختلف شرائحه فطبقة في نعماء لا تكاد تنقص بل في ارتفاع وأخرى في الحضيض كلما ازدادت الأيام ازدادت تعاستهم.

فظهر الضجر واليأس والكفر بهذا النظام الجائر فتعددت الجرائر ما أدى الى خلع وطرد كل من يخالفهم (النظام القبلي) فظهرت القطيعة لتحدث شرخا في نفوس هؤلاء بينهم وبين قبائلهم وأعلنوا ثورتهم على هذا النظام فتصعلكوا وجابوا قفار الأرض وفيافيها وأوردوا

[1] عبد المتين، دور الشعراء الصعاليك في تطور الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،د ط ، 1971، ص: 77-78.

ذلك في شعرهم الذي طغت فيه دوافعهم النفسية وأبرزوا عللهم وبينون مكنوناتهم وما و ما احتوته نفسياتهم فظهر شعرهم مليئا بدوافع نفسية متعددة لا تكاد تختلف عند معظم هؤلاء الصعاليك رغم اختلاف جرائرهم ومطالبهم التي أردوا لها أن تتحقق وسط هذا النظام السائد.

يمكننا أن نبين هاته الدوافع النفسية لدى هؤلاء الصعاليك من خلال ما ورد في شعرهم متقصين أهم أسبابها التي نستطيع اكتشافها.

وأول ما نلاحظه في شعرهم تلك الشكاوى المتعددة التي ذكرها معظم الشعراء الصعاليك وتختلف أسبابها والمقصود منها.

فهم يشكون فيها حالاتهم وانفعالاتهم وكذا البعد عن المجتمع والقطيعة حتى وان صرحوا برضاهم عن حياتهم الجديدة الا انهم لم يلقوا فيها الهناء فالجاهل لم يكن وليخرج من كنف القبيلة فهو في حنين دائم لحياته السابقة ولهذا تكثر شكواهم و تحسراتهم عن من كانوا أهلهم فالشاعر يشكو من النظام القبلي وشاعر يشكو خلعه بعد جرائره التي دفعته لهذا فخروجه عن نظام القبيلة وأعرافها ومبادئها هو ما كلفه ذلك ، وسنسرد كيف كانت نفسياتهم عند خروجهم عن قبائلهم وأهلهم وهناك من الصعاليك من بقي مع أهله لا ينفك يعودهم ويمضي بعض أيامه معهم.

يقول الشنفرى في لاميته المشهورة (**من الطويل**)

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيّكُم فَإِنّي إِلى قَـومٍ سِـواكُم لَأَمَيـلُ

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ

وَفِي الأَرضِ مَنأى لِلكَرِيمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[1]

نلاحظ في مطلع قصيدته نفسيته الكئيبة التي تدفعه للشكوى واللوم لمن كانوا سنده ولكن تخلوا عنه ليقول بأنه راغب عنهم بعد ما كانوا يكرهونه وكأنه رابض على صدورهم وذاهب لقوم غير هم ، فالكريم وان سار وارتحل يجد مأوه وان لم يجده يعتزل كل شيء مقابل الشعور بالطمأنينة ، فهو في تصريحه هذا عن هذا الرحيل المثقل والذي لا يفتك يظهره مبينا مدى مرارته من جهة وحتميته لنفسه من جهة ثانية ثم تتصاعد لهجة شكواه وحدها فيقول : (**الطويل**)

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ[2]

لقد أبدل الشنفرى أهلا مكان أهله ، ومتأكد من خلوهم من صفات أهله السابقين وقد بين أسباب تفضيله لهم ، ومن صفاتهم انهم لا يذيعون أسراره ولا يتناقلونها بينهم ولا

[1] إميل بديع يعقوب ، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، ط2 ، 1996، ص:58.

[2] نفسه، ص: 59.

يعلنوها لغيرهم ، وكذلك لا يخذل فيهم بما يفعله من جريرة وهذا ما لم يجده عند غيرهم، قلوا لم يحدث هذا لما خرج عنهم وابدل مكانهم اهلا غير هم فهل يا ترى من يكونوا هؤلاء الاهل الذين لا يخذل فيهم ولا يلام وكيف يتعايش معهم ثم يبين ويفصح عنهم بقوله

(من الطويل):

وَلِي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلّسٌ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ[1]

ثم يصل لمبتغاه الذي يبحث عنه مع ارتفاع شكواه المتزايد فيقول:

هنالك لا أرجوا حياة تسرني طولها الليالي مسبلا بالجرائر[2]

مع ارتفاع الشكوى التي لم تنفعه وإنما زادت في تأجيج نار وشكوى لتلحق مرحلة أقسى وأصعب فقد يأس تماما من شكواه وأصبحت حياته الجديدة ترضيه بحيث لا يلومه فيها احد ان اقترف الأخطاء بل حتى وان زادت جرائره ترويعا ورعبا ، مما أدى به الى اجتراعها وحده فغدى ضميره الوحيد الذي يؤنبه وتآكلت الهموم قلبه حتى ضاق بها ذرعا جراء ما فعله يقول :

[1] اميل بديع يعقوب ، ديوان الشنفرى، ص:59.

[2] نفسه ، ص: 65.

الف هموم ما تزال تعوده عيادا كحمى الربع او هي اثقل[1]

ومن الأبعاد النفسية المنتقاة من شعر الصعاليك (الخوف) التي وردت في أحاديث الفرار فيتحدث فيها الشاعر عن الفرار والهروب فتكلموا عنه دون حرج لأنه عيب على غيرهم ورموهم بالجبن الى عند الصعاليك الذين تباهوه به لأنه من أساليب حياتهم (الغزو)

يقول تأبط شرا واصفا شدة عدوه:

نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ أَلقَيتُ لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ أَرواقِ

لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَرّاقِ

كَأَنَّما حَثحَثوا حُصّاً قَوادِمُهُ أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ[2]

ثم يصل لمبتغاه الذي يبحث عنه مع ارتفاع شكواه المتزايد فيقول:

هُنَالك لَا أَرْجُو حَيَاة تسرني طولها اللَّيَالِي مسبلا بالجرائر[3]

وتظهر الشكوى عند الشعراء آخرين فها هو تأبط شرا يقول:

[1] اميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، ص:75.

[2] عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت لبنان، 2006، ص:41.

[3] نفسه ، ص: 60.

إنّي إذا ما خُلّةٌ ضنت بنائلها وامسكت بضعيف الوصل احذاق[1]

فثابت ابن جابر (تأبط شرا) يشكو من علاقته بأهله وصحبته ويقنع نفسه بأنها لا تستحق الندم ولا البكاء عليها فهي ضعيفة غير متماسكة ويصف كيف انه تخلص منها كانه فار من أعداء يلاحقونه ، وهذا ما يبين مدى السخط عنهم.

كذلك يظهر بعد نفسي آخر كان له بالغ الاثر في تصعلك بعضهم كعروة فقد تجلى القهر في شعره فيقول:

هُم عيّروني أنّ أُمّي غريبةٌ وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّر؟[2]

ويقول أيضا:

مابي من عار إخال علمته سوى ان اخوالي إذا نسبوا نهد[3]

يفصح عروة في قصائده عن قهره الدائم فقد كانوا يعيرونه بأمه ، فالعلاقة بين الولد وامه يجب ان تكون متينة مترابطة فكيف اذا عير بامه.

[1] نفسه ، ص: 40.

[2] أسماء أبو بكر : ديوان عروة ، ص 71.

[3] أسماء أبو بكر ، ديوان عروة، ص 56.

وقد دافع عن نفسه دائما محاولا ردع من يعيرونه فما ذنبه هو ان كانت امه وقبيلتها لا يرقيان الى مكانة قبيلة ابيه عبس فعروة قد تسامى عن هاته النواقص بتصعلكه وربما كان احساسه الشديد بمن حوله ناتجا عن معاناته النفسية التي جعلته يشعر بقسوة الحياة على الاخرين فيشاركهم الامهم.

ومن الابعاد النفسية المنتقاة من شعر الصعاليك ايضا الخوف الذي ورد ذكره في احاديث الفرار فتكلموا عنه دون حرج ان الفرار يعد عيبا على غيرهم فيرموهم بالجبن إلا عند الصعاليك الذين تباهوا به وافتخروا به في شعرهم ، وهذا راجع لأساس حياتهم (الغزو) فيعتمدون أسلوب الكر والفر ، فيكرون عند تأكدهم من نيل ما يردون ويفرون عند الصعاب ليعدوا الكره مرة أخرى يقول تأبط شرا واصفا شدة عدوه

نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ أَلقَيتُ لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ أَرواقِ

لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَـرّاقِ

كَأَنّما حَثحَـثوا حُصّاً قَوادِمُـهُ أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ[1]

[1]عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان تأبط شرا، ص:41.

-الكمد:

لعلني ميت كمداً ولّما أطالع أهل ضيم فالكراب

وإذا لم آتي جمع بني خثيم وكاهليها برجل كالضباب

إذا وقعت بكعب أو قريم وسيار فيا سوغ الشراب[1]

قال تأبط شرا هذه الأبيات قبل موته يصف فيها حالة الخوف والحسرة التي يكتنفانه ان هو لقي حتفه و لم يحقق رغبته من الغزو السلب وكذا الانتقام من بني خثيم فكانه يقول بأن حياته ذهبت هباء و لم يحقق هاته الرغبة التي تهلك قلبه وكاهلها الطلب الذي يعيش من اجله وان نال منهم ما يشفي غليله وينقص هذا الحزن الذي يحتوي قلبه ويعتصر فقد نال ما بطلبه ولا يريد لحياته غير ذلك يساوم نفسه من اجل ان يأخذ ما يريد منهم وان لم يفعل ذلك ولقته منية مات بحسرته .

-القلق وعدم الاستقرار:

لقد عاش الصعاليك في جو مفعم والخوف من مصائب قد تصل أليهم وهم على غفلة من أمرهم فقد كانوا مطاردين دائما من مكان إلى مكان خوف من كشفهم وتوالي أحقاد

[1] عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان تأبط شرا ، ص: 18.

عليهم من قبيلة إلى قبيلة فكانوا لا يتمتعون بنوم هانئ إلى أذا اشتدت عليهم فكانوا قليلي النوم فكان نومهم نوم عين وعين تحرسهم لا تنام.

يقول الشنفرى

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأَبِيّهَا حُمَّ أَوَّلُ

تَنَامُ إذا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها حِثَاثاً إلى مَكْرُوهِة تَتَغَلْغَلُ[1]

فقد بين الشنفرى قلقه الدائم حتى في نومهم فيقول بأن عيونهم لا تنام خوفا من عدو يتربص بهم أو يطاردهم.

-الكراهية والانتقام:

يقول الشنفرى مبينا كرهه في هذا البيت : [الطويل]

أَضَعتُم أَبي إذ مالَ شِقُّ وِسادِه عَلى جَنَفٍ قد ضاعَ مَن لَم يُوَسِّدِ[2]

في هذا البيت يتضح لنا ما يقصده الشنفرى فهو يتهم قبيلة الازد بقتل ابيه وقد عبر عن هذا الكره الدفين و لم يخفه عنهم ، وكانه يهدهم ولا يخشاهم حتى وهو بينهم فنار كراهية

[1] إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرة، ص68.

[2] المرجع السابق ، ص: 45.

أحرقت كبده وهو يسارع في انتقامه منهم ما بقى حيا ويعب حياته فداء ذلك وقد ذكر في شعره أنه قتل المتهم في قتل والده إثر تقضية للحقائق فيقول:

قَتَلْنَا قَتِيلاً مُهْدِياً بِمُلَبّدٍ جِمَارَ مِنىً وَسْطَ الحَجِيجِ المُصَوّتِ[1]

رفض أوامر السادة والتهديد:

تظهر أنفة العديد من الصعاليك من الصعاليك من القيام بالأعمال الفرعية التي كانت توكل للموالي فالشنفرى يرفض أن يكون راعيا يرعى إبله وكذلك يقول تأبط شرًا:

وَلَسْتُ بِراعِي صِرْمَةٍ كانَ عَبْدُها . . . طَوِيْلَ العَصا مِنْ ثَاثَةِ الصَّقْبِ مِهْبَلِ[2]

فأشعارهم حماسية وهم رعاء أنفسهم لا احد يملي عليهم ما يفعلون ويتعالى ويتطاول عنهم ولا شك انه كبرياء يتناقص مع أحوالهم الاجتماعية و الاقتصادية ومع ذلك هددوا من يتجرا ومن تسول له نفسه يقول تأبط شرا:

إِنّي زَعِيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَذَلِي ان يَسْأَلَ الْحَيُّ عَنّي أَهْلَ آفَاقِ

أَنْ يَسْأَلَ الْقَوْمُ عَنّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ فَلاَ يُخَبِّرُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ لاَقِ[3]

[1] نفسه ، ص: 75.

[2] عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان تأبط شرا ، ص: 66.

[3]- نفسه ص : 43

واشتمل شعرهم عن المعاناة النفسية جراء مرارة الفقر وجفاء والأقارب فيقول عرة في ذلك:

قالَت تُماضِرُ إذ رَأَت مالي خَوى وَجَفا الأَقارِبُ فَالفُؤادُ قَريحُ[1]

فالشاعر يصور ما يختلج فؤاده جراء فقدان المال بل جفا الاقارب

اشد وطأة عليه من المال فهو لا يجعل للمال مكانة أرقى من ذلك كيف لا وهو يبذلها لكل من يقصده.

ومن نفسيات الصعاليك الإيجابية أنهم يتشبثون في الامل على الرغم من صعوبات حياة الصعاليك إلا أن عروة دائما يتشبث بالأمل أو كأنه شبه متأكد من حصوله على الغاية المنشودة معاملته مع رفاقه أو يفعل ذلك ليبعد عن رفاقه شيح التشاؤم ، وظلال اليأس متثبتا بشئ من الأمل ببعث في نفوس أصحابه الرغبة في المضي نحوى الهدف ويقول عرو:

اليس ورائي ان ادب على العصا فيشمت اعدائي ويسامني اهلي

رهينة قعر البيت كل عشية يطيف بي الولدان اهدج كالرال[2]

[1]- أسماء بوبكر ، ديوان عروة ، ص:54.

[2]- نفسه ، ص: 89.

يصور لنا عروة مخاوفه المتعددة ومن بين مخاوفه الكبيرة والشغوفة فيصور حالته الجسدية تصويرا دقيقا ويبين نفسيته الكئيبة من هذا اليوم ، كما يبين لنا أن أهل سيسأمونه لما آل إليه من ضعف وعجز فهو يحنو للماضي ويبين أحزانه ومخاوفه من قادم لا بد منه فهو يشبه نفسه بالرهين الذي يلازم البيت فيشمت به أعداءه لما آل إليه بعد ان كان في اوج قوته ويقول في أبيات أخرى بكائه:

سقى سلمى واين ديار سلمى اذا حلت مجاورة السرير

اذا حلت بارض بني علي واهلي بين امرة وكير

ذكرت منازلا من ام وهب محل الحي اسفل ذي النقير[1]

من خلال الوقفة الطللية للشاعر وبكائه ديار المحبوبة يفصح فيها عن مكنونات فجرها رؤية ديار محبوبته ومكان اقامتها وما سببه بعد مكانها عن دياره من الم وشوق وحنين بعذ ان كانت لصيقة لها صارت بعيدة لم يتبقى منها سوى الذكرى والحنين الذي يؤجج نار قلبه .

[1] أسماء أبو بكر ،ديوان عروة، ص: 69.

3- صورة المجتمع الجاهلي والحروب والغارات في شعر عروة:

لم يرى الشعراء الصعاليك في غزواتهم المتكررة أو مراقة الدماء واستباح الأموال أدنى غضاضة واقل ملامة حتى أنهم صورها ووصفوها في شعرهم وافخروا بها فكان الغزوا والإغارة دأبهم ودأب كل القبائل كما هو معروف أنذالك وتعددت الأسباب فلم يسلم منها لا القريب ولا البعيد وقد تؤججها المشاجرة بين شخصين ومن ولعهم الشديد بالحروب قد تغير عشيرة على عشيرة من قبيلتها .

صور لنا عرة مجتمعه في شعره وذكر تفاصيل حياته ومعاناته الدائمة وأعلن بؤسه وامتعاضه من النظام الطبقي السائد كما ابرز حالة الصعاليك وذكر صفاتهم الحميدة والمذمومة فيقول:

لحى اللّهُ صُعلوكاً ، إذا جَنّ ليلُهُ مصافي المشاشِ، آلفاً كلّ مجزرِ

يَعُدّ الغِنى من نفسه ، كلّ ليلة أصابَ قِراها من صَديقٍ ميسّر

ينامُ عِشاءً ثم يصبحُ ناعساً تَحُثّ الحَصى عن جنبِهِ المتعفّرِ

يُعينُ نِساء الحيّ، ما يَستعِنّه ويمسي طليحاً كالبعيرِ المحسرِ [1]

[1] – أسماء أبوبكر ديوان عروة ص 68.

ويقول أيضا :

ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه ضَوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ

مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر [1]

يرسم لنا عروة في هاته الأبيات صورة لمجتمعه الصعلوكي يصف فيه نوعين من الصعاليك فالصورة الأولى لصعلوك خامل متخاذل، ضعيف لهمة اختار أسهل طرق حياة وأكثرها مذلة وهوان ، فأقصى .... يحصل قوت بطنه دون الاكتراث بغيره يرتضي لنفسه القيام بما تكلفه به النساء من وضع الأعمال ينام ليلا ويقوم ناعسا في صباحه ينفض الغبار على أطرافه، فهو ينفر من هذا الصعلوك محذرا منه ، فهذا الشخص لا يمكن أن يجد له عذرا في حياته حيث ارتضى أسلوب عيش ذليل ، حيث ارتضى الحصول على البقايا بشكل دائم بدلا أن يحرم منها نهائيا، ويعيش تحت حماية القبيلة ويعيش حياة هادئة ولو على كرامته.

وبالمقابل أغرق عرة المديح والثناء على النموذج الآخر الصعلوك المغامر الذي لا يرضى بحياة وضعية، ليكافح ويناضل ويتحدى الأخطار في سبيل العيش بكرامة والتغلب على المعاناة التي يقاسيها فاختار حياة التمرد والثورة منتفعا بها وانطلق يرجوا غاياته وأهدافه ساعيا في تحقيقها.

وصور عروة مكارم الأخلاق في شعره بطابع فخري مبينا كرمه وعفته وإيثاره فيقول:

[1] – اسماء ابوبكر ص 69

فراشي فراش الضعيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزل مقنع

أحدثه ، ان الحديث من القرى وتعلم النفس انه سوف يهيج[1]

ويقول كذلك :

ولا يستضام، الدهرَ، جاري، ولا أُرى كمن بات تسري للصّديق عقاربه[2]

بين عروة كرمه ايثاره لضيفه أو جاره ولا يقتصر فقط على الصعاليك والفقراء فهو يصنع المعروف أينما حل ويذكر في أبيات أخرى صنيعه مع أهل الكنيف .

أَلا إِنَّ أَصحابَ الكَنيفِ وَجَدتُهُم كَما الناسِ لَمّا أَخصَبوا وَتَموَّلوا

وَإِنّي لَمَدفوعٌ إِلَيَّ وَلا أُهُم بِما وانَ إِذ نَمشي وَإِذ نَتَمَلمَلُ

وَإِذ ما يُرِيحُ الحَيَّ صَرماءُ جونَةٌ يَنوسُ عَلَيها رَحلُها ما يُحَلَّلُ[3]

لقد قرر عروة مختار ان يرهن حياته في سبيل رفع الظلم عن طبقة الصعاليك ، فرأياه القيادية هيا ما دفعت به لانتشال هذه الفئة من الحضيض فوجد ان التضامن والكفاح في صفوف هذه الفئة هو السبيل للنهوض من هذا الظلم ، فأهل الكنيف صاروا صنيعته بعد

[1] – أسماء ابو بكر ديوان عروة ، ص 83

[2] – نفسه، ص 48

[3] – نفسه، ص 91

ان صلح حالهم فبدل ان يمنوا عليه ويذكرون فضله وجميله فيهم تنكروا له وحالوا الخروج عن طاعته .

لقد صور لنا عروة مجتمعه الذي يعيش فيه في الكثير من شعره وما فيه من مكارم والأخلاق وكذا المعيشة الصعبة لافتقار البيئة وبسبب قوانين ومبادئ نظامه فيسرد لنا أهم صورة المجتمع فأول ما يظهر في شعره شكواه من هذا النظام السائد وما يعانيه جرائه من انفعالات بسبب عقليات المجتمع المتحجرة ومعيرته الدائمة له بسبب نسبه فيقول :

أَعَيَّرْتُموني أَنَّ أُمّي تَربِعَةٌ وَهَل يُنجِبَن في القَومِ غَيرُ التَرائِعِ [1]

فهذا النظام عانى منه الكثير من هؤلاء وكان السبب بعدهم الأول في قطيعتهم عن قبائلهم ويشعرون بأنهم منبوذين ومهانون فمن عندهم تلك الأنفة خاصة بان المجتمع ككله اشتهر به ومن هذا الباب نفروا منه باحثين عن مجتمع يبادلهم المحبة والاحترام وتتولى في شعره مظاهر المجتمع الشحيح خاصة في طرق العيش فاعتمادهم على الغزو والإغارة بث التفرقة والخوف والجوع ، فما ينفك يذكر الجوع في شعره معبرا عن عزة نفسه وكرامته .

فالشاعر يذكر شدة جوعه وصبر عليه وذهوله عنه وتناسيه له وهذا ما ذكره اغلب الصعاليك في شعرهم ليبينوا صورة المجتمع وما يعانوه من شقاء وليبينوا حججا لصعلكتهم.

[1] أسماء ابو بكر ديوان عروة ، ص 85.

ومن مظاهر المجتمع الجاهلي القهر الإنساني الذي عانى منه مجتمع الصعاليك فكان لزاما على الصعلوك النجاة والاستمرار من شرك هذا المجتمع الذي انقسم الى طبقتين من حيث توزع الثروة المال وهاتين الطبقتين هي: طبقة السادة المترفين ، وطبقة الفقراء والمعدومين . تركزت الأسواق في مكة وطرقها مما جعلها عتية بها وبالقوافل المحملة اضافة الى بعد وطول الطرق مما جعلها هدفا للصعاليك رغم أن الأسواق كانت محمية سواء من طرف القبائل او من طرف هيئة حاكمة ذات قوة تنفيذية .[1]

وقد اتخذ الصعاليك من مناطق الخصب في الجزيرة العربية أهدافا لهم يتجهون إليها ومناطق و مناطق نشاط يعملون فيها ومن اهم هاته المناطق اليمن ونجد ويثرب والوديان المحيطة وكل هذه المناطق تعرضت لغزوات الصعاليك وتكاد تكون لكل جماعة من الصعاليك مناطق غزو واغارات مختصين بها دون غيرهم وقد تركز عروة بن الورد وصعاليكه في منطقة يثرب وما يجاورها فيقول :

فإنّكم لن تبلغوا كلّ همّتي ولا أربي، حتى ترَوا منبتَ الأثل [2]

فعروة يعلن بأنهم لن يبلغوا أقصى همته ولن يحققوا كل آمالهم حتى يصلوا منبت النخل.

ويقول أيضا :

فَيوماً عَلى نَجدٍ وَغاراتِ أَهلِها وَيوماً بِأَرضٍ ذاتِ شَتّ وَعَرعَرِ [3]

---

[1] – يوسف خليف : ص،132

[2] – أسماء ابو بكر ديوان عروة ، ص 89

[3] – نفسه ص 69

يصرح عروة بأنه يغير على نجد أحيانا وعلى تهامة أحيانا أخرى وهذه المناطق ليست اختصاصه .

ويذكر عروة المرقبة ويصورها في شعره ويقول :

إذا ما هَبَطنا مَنهَلاً في مَخوفَةٍ بَعَثنا رَبيئاً في المَرابِئِ كَالجِذلِ

يُقَلِّبُ في الأَرضِ الفَضاءِ بِطَرفِهِ وَهُنَّ مُناخاتٌ وَمِرجَلُنا يَغلي [1]

يبين لنا عروة انه يبعث بأحد أتباعه من الصعاليك ليقف على المرقبة حارسا مستكشفا ويصف هذا الربى المنتصب في أعلى الجبل لا يترك فيه إلا عيناه بينما الآخرون يسرحون في مكان امن فتصوير الصعاليك للمراقبة مؤكدا حريته وانسلاخه عن القبيلة وسلطتها وارتقاء المرقبة إنما يدل على الرفعة التنامي على نظامهم القبلي .

وقد اشتهر عروة بين الورد بإغارته على قوافل الأغنياء والاستلاء على أموالهم و لم يكن عروة بين الورد سفاحا ولا سفاك ، و لم يتشرد في الود و لم يضع في مجامل الصحراء القاسية بل عاش في قبيلة معززا مكرما ذلك ان القبيلة لم تخلعه كما أن عروة كريما مع رفاقه من الصعاليك يجود عليهم بسخاء وكرم ، حتى لقي عروة الصعاليك. [2]

[1] –اسماء ابوبكر ، ص 90

[2] – يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ، ص 137.

قيل أن عروة بن الورد بلغه عن رجل من بني كنانة ابن خزيمة من ابخل الناس وأكثرهم مالا، فبيت عليه عيونا فاتوه بخبره فشد على إبله فاستاقها ثم قسمها في قومه فقال في ذلك:

ما بالثّراءِ يسُودُ كلُّ مُســوَّدٍ مثر ولكـن بالفعــال يســود

بل لا أُكاثِرُ صاحبي في يُســرِهِ وأصُـدُّ إذ في عيشـهِ تَصْريـد

فإذا غنيت فأن جــاري نيـله من نائلي وميــسري معــهـود

وإذا افتقرْتُ، فلن أُرَى متخشّعاً لأخي غنى معروفه مكدود [1]

يرفض عروة ان يكون المال والثراء أساس للسيادة والمكانة المرموقة وحاول أن يجعل للسيادة أساس أخر قوامها حسن العدل والأخلاق ثم يبين أخلاقه من كرم وارثاء وعزة نفس وهو يبعث برسالة فحواها انه أفضل ممن يدرون شؤون قبيلة يتمتع به من حميد الصفات وان المال مشترك فيه الكثير ومقسم في حسوم كثيرة فمن يناله من مال مقسم كله ،وان افتقر فلا يطمع في مال غيره .

لقد توفرت شخصية عروة على مجموعة من العناصر جعلت منه شخصية مستفردة مواجها واقعه المرير بحكمة وثبر بغية تحقيق حلمه رغم احتقار وملاحقة المجتمع له من أبناء القبيلة بل ناصبته العداء وغدرت به ولكنه لم يبادلها شعورها ولأفعالها بل بقى متعصبا لها ودائما

[1] – أسماء ابو بكر ديوان عروة ، ص 57.

في طوعها حاميا مدافعا عنها أن جارت عليها الأيام فبقى شامخا عكس اغلب الصعاليك الذين حقدوا على قبائلهم وغزوها وتربصوا بها ، يقول عروة :

وإن شئتمُ حاربتموني إلى مَدًى فيَجهَدُكم شأوُ الكِظاظِ المغرّبُ

فيلحق بالخيرات من كان أهلها وتعلم عبس رأس من يتصوب[1]

ان عروة قد تحلى بصفات جليلة جعلت مكان مرموقا عن غيره فهو لم يعلن عداءه لأهله و لم تعاد قبيلته كغيره من الصعاليك بل اتبع منهج يراه سليما قوامه الاشتراكية والتكافل بين أنباء القبيلة .

افتخر جل الصعاليك بأنفسهم في أشعارهم وصنيعهم في الحروب الغزو فتأبط شرا والسليك افتخروا بفرارهم على الرغم انه يعد عيبا فعروة لم يذكر ذلك وانما جاء شعره كمن سبقوه او عاصروه فيفتخر باقدامه وشجاعته عكس من كانوا معه فيقول عروة :

أتجْعَلُ إقدامي إذا الخَيْلُ أحجَمَتْ وكـرّي ، إذا لم يمنـع الدَّبرَ[2] مـانعُ

سَواءً ومن لا يُقدمُ المُهرَ في الوغـى ومن دبرُهُ ، عند الهزاهز[3] ، ضائع

إذا قيل يا ابنَ الوردِ أقدِم إلى الوغى! أجبـت ، فـلاقاني كمـيٌّ مُـقارِع

[1] –اسماء ابوبكر ، ص 45

[2] – الدَّبرَ :المال الكثير

[3] – الـــهزاهز: الصعاب والشدائد

بكفّي من المأثورِ، كالملحِ لونُه حديثٌ بإخلاص الذُّكورةِ، قاطع

فأترُكُه بالقاعِ، رهناً ببلدةٍ تَعَاوَرُهُ فيها الضّباعُ الخَوامع[1]

مخالفَ قاعٍ، كان عنه بمعزلٍ ولكنّ حَينَ المرء لا بدّ واقع

فلا أنا ممّا جَرّتِ الحربُ مشتكٍ ولا أنا مما أحدثَ الدهرُ جازع

ولا بصَري، عند الهِياجِ، بطامحٍ كأني بعيرٌ فارقَ الشَّولَ[2]، نازع[3]

يفتخر عروة في هذه الأبيات بنفسه ويبين صفاته وصنيعه في الحروب وانه كلما دعيا للحرب اجاب فلا يختلف عنها أبدا اذا فهو على هيئة الاستعداد يحمل عدته الحربية ووسائله معه سيفه الابيض الذي يشبه ملح الطبيعة وذكر كذلك الضبع فالشاعر ابن بيئته فهو يبين استئناسه بالضبع ويترك لها طعامها من جثث اعدائه ثم يبين لنا حكمته وصبره على الملمات ، فلا هو يشتكي من حصاد الحروب وما تؤول اليه ولا هو قانط مما يحمله الدهر ولا متشائم ولا متشوق كالغير ، فعروة فارس مقدام لا يحب ان يستوي وغيره ممن يفرون يوم الوقائع ويتخلفون عنها، وتظهر حكمة عروة في كثير من شعره ما يدل على رجاحة عقله و إنسانيته التي طغت على حياته وحبه لإعانة الفقراء والمهمشين والمخلوعين من قبائلهم .

[1] – الخَوامع : بمعنى مشى كان به عرج

[2] – الشَّولَ : الابل

[3]– أسماء ابو بكر ديوان عروة ، ص 81.

خاتمة

خاتـــمة:

و أهم ما استخلصته من هذا البحث :

- ✓ ثورة الصعاليك على التقسيم القبلي و إبدالها بأسس قوامها صفات الفرد الشخصية وسماته الخلقية .
- ✓ البيئة الجاهلية شكلت الصعاليك من خلال وهن مكانتهم في المجتمع .
- ✓ تعدد أساليب الغزو على حسب الإمكانيات الفردية والجماعية المتاحة .
- ✓ انقطاع جل الصعاليك عن قبائلهم وعدائهم معهم .
- ✓ بين شعرهم طرق عيشهم وغزوهم ونفسياتهم المختلفة .
- ✓ تعددت معاناة الصعلوك من فقر وجوع واغتراب .
- ✓ لعبت العوامل النفسية دورا كبيرا في تصعلك هاته الطائفة .
- ✓ رغم خروج عروه عن قبيلته إلا أنه لم يعش وحيدا بل اتخذ له اهلا ونسبا بين قبيلته .
- ✓ بين الشاعر معناة الصعاليك في الفيافي .
- ✓ سعي عروة لإعادة التوازن الاجتماعي لحياة المجتمع القبلي .
- ✓ اعتماد عروه مبدأ التكافل الاجتماعي و الاهتمام بالفقراء وإعانتهم .
- ✓ اتصال كل قصائد عروه بن الورد بالواقع الذاتي.

- ✓ امتياز عروة بن الورد بالقوة والجلد وتمتعه بقيم إنسانية وأخلاقية رغم ما يحاصره من فقر وتهميش.

المصادر و المراجع

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر و المراجع :

01- إيميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط2، 1996.

02- شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط2.

03- حسني عبد الجليل يوسف :الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص مختارة مؤسسة المختارة ،القاهرة ،مصر ،ط1 ،2001.

04- حسني عبد الجليل يوسف :دراسة أسلوبية ،أطروحة الدكتوراه ،جامعة بسكرة ،2016-2017.

05- عبد الحليم خفني : شعر الصعاليك ،منهجية وخصائص ،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ،مصر 1979.

06- عبد الرحمان المصطفاوي : ديوان تأبط شار ، درا المعرفة بيروت – لبنان ، ط2 ،2006

07- عتيقة بالمعاني ،البنية الهجائية في شعر الصعاليك ،شهادة ماستر ،جامعة ورقلة ،سنة 2016.

08- عبد العزيز نبوي :دراسات في الأدب الجاهلي ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة مصر ،طبعة مزيدة ومنقحة، 2004 .

09- عمارة إخلاص فخري ،الشعر الجاهلي بين القبيلة و الذاتية ،مكتبة الأدب ،ط1،سنة 1991.

10- عبد الغني لفتة ،البنية السردية في شعر الصعاليك ،دار حامد للنشر والتوزيع ،2010 ،ط1.

11- عبد المتين، دور الشعراء الصعاليك في تطور الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،د ط ، 1971.

12- محمد رضا مروة ،الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ط1 1990.

13- ابن منظور ،لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي ،ط1 ،بيروت 1988،جزء 7 (مادة صعلك) 443/12.

14- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة مصر، الجزء الثالث، ط1، 1929.

15- عبد القادر عبد الحميد زيدان ، التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء، مصر، ط1،2003.

16- يوسف خليفة الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ،ط3 القاهرة ،مصر 1978 ،ج1.

الفهرس

الفـــــــــــــــــــــــــهرس

البسملة.....

شكر و عرفان.....

اهداء.....

مقدمة.....أ

مدخل.....11

الفصل الأول: الصعاليك غزوهم وشعرهم وأبعادهم النفسية

1 مفهوم الصعلكة..... 20

2- الغزو والحرب في حياتهم..... 37

3- وصف الحروب والغرات لدى الصعاليك 45

الفصل الثـــــاني: الغزو والحرب في شعر عروة

1- عروة بن الورد حياته وشعره 50

2- الأبعاد النفسية للصراعات والحروب في شعر الصعاليك 51

3- صورة المجتمع الجاهلي الحروب والغرات في شعر عروة.....63

خاتمة.....73

قائمة المصادر و المراجع.....76

الإسم و اللقب : طيب بوسماحة **المستوى : سنة ثانية ماستر أدب قديم**

ملخص:

اعتمدت حياة الصعاليك على سفك الدماء و استباح الأموال نظراً لما عانوه بعد خروجهم عن قبائلهم وعيشهم في بيئة موحشة صعبة لا يعينهم عليها شيء وتميز شعرهم بتصوير حياتهم ووصف غاراتهم وإبراد أبعادهم النفسية ، وتميز عروة بن الورد بمبدأ الاشتراكية والتكافل الاجتماعي .

الكلمات المفتاحية :

الصعاليك – الغزو – الحرب – المجتمع الجاهلي – النظام القبلي.

Abstract:

The life of the un vagabond relied on the shedding of blood and the appropriation of money because of what they suffered after they left their tribes and lived in a difficult environment that is difficult to help them, and their poetry was characterized by depicting their lives and describing their raids and giving their psychological dimensions.Orwa ibn al-Ward was distinguished by the principle of socialism and social solidarity.

key words :

vagabond - conquête - guerre - société ignorante - système tribal.